مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الثاني

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين و محمد الأكلع
الجزء الثاني
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 2

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الثاني

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق: محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشـــــورات: مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطبـعـة الأولى: 2024

الطباعة والإخراج الفني: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

الجهاد والسياسة في «تفسير نصرة الإسلام» للفقيه عبد الوهاب لوقش التطواني (ت. 1923م)

محمد الشريف[*]

ينتمي الحاج عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب لُوقَش التطواني، الفقيه المفسِّر والصوفي، (ت 1923م)، إلى بيتٍ أندلسي مغربي عريق، استوطن مدينة تطوان بعد نزوحه من الأندلس عقِب الطّرد النهائي للمسلمين منها سنة 1609م.[1] وبهذا الصدد قال أبو العباس أحمد الرهوني صاحب «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»: «لوقَش: أصله لوكَس. وهو اسم عائلة أندلسية، من بقية ملوك بني أمية، الذين كانوا بالأندلس وسموا باسم حصن من حصونها. قدموا تطوان ونواحيها، في حدود عام 1017هـ/1608م، الذي هو آخر أيام خروج المهاجرين من الأندلس.»[2] وقد ترجمَ مؤرِّخا تطوان: أبو العباس أحمد الرهوني ومحمد داوود، لعدد من أعيان هذا البَيت، نذكر من أبرزهم: عمـر لوقش (ت 1151هـ/1738م)، وولـدُه محمـد (ت 1190هـ/1776م) الـذي قرأ مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان له معه رضاع، وخلّد ذكره ببنائه لجامع لوقش والمدرسة المتصلة بها، بما توفر لديه من مال غنائم سبتة،[3] وولده الفقيه الحاج عبد الكريم لوقش (ت 1220هـ/1805م)، الذي ولاه

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي- تطوان.

(1) حول ترجمة الفقيه عبد الوهاب لوقش التطواني، ومصادرها، انظر: تقديم الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي للجزء الأول من **تفسير نصرة الإسلام في إخراج مقامات الدين من الإسلام** لأبي محمد عبد الوهاب لوقش الأموي الأندلسي التطواني (1341هـ) (تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، سلسلة تراث 15، 2010)، 1-35؛ ونفس المعطيات تقريبا يوردها كل من: مريم القادري في كتابها: **أصول التفسير في كتاب نصرة الإسلام لأبي محمد عبد الوهاب لوقش الأموي الأندلسي التطواني (1341 هـ): تفسير سورتي الفاتحة والبقرة نموذجا** (الرباط: منشورات جمعية تطاون أسمير، 2019)، 49-65؛ ويونس السباح، في كتابه: **من أعلام المغرب: العالم المفسر عبد الوهاب لوقش الأندلسي التطواني ثم الطنجي (ت 1341هـ) - حياته وآثاره-** (طنجة: مطبعة سليكي أخوين، 2022).

(2) أحمد الرهوني، **عمدة الرّاوين في تاريخ تطّاوين**، ج. 3، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي (تطوان: منشورات جمعية تطّاون أسمير، سلسلة تراث: 6، 1419 هـ 1998م/1428هـ ـ2007م)، 223؛ وانظر: ج. 6، 43.

(3) المصدر نفسه، ج. 4، 131.

السلطان سيدي محمد بن عبد الله عمالة تطوان،[1] وغير هؤلاء ممن تولوا مناصب مخزنيّة رفيعة، أو اشتغلوا بالعلوم الدينية وبالطب والصيدلة والتوقيت خاصة.[2] وقد ارتبطت أسرة لوقش الأندلسية التطوانية برابطة المصاهرة مع بيت الأشراف الريسونيين وشيوخ الزاوية الريسونية بتطوان.[3]

لقد شرع الفقيه عبد الوهاب بن محمد لوقش في تأليف كتابه الضّخم «**تفسير نُصرة الإسلام**[4] في رابع، أَو خامس شوال، عام 1334هـ، [3-8-1916م]، وانتهى منه سنة 1921م.[5]

ويهمّنا في هذه الورقة أن نقف على ما يحْتجنه تفسير الفقيه عبد الوهاب لوقش للقرآن الكريم من معطيات تاريخية دفينة، وخاصة ما يتعلق منها بالأوضاع العامة في المغرب مطلع القرن العشرين، وما ترتب عن فقْد البلاد لاستقلالها، وموقفه من الأحداث العالمية آنذاك، وعلى رأسها الحرب العالمية الأولى وانخراط الدولة العثمانية في أتونها.

وقبل أن نُبرز ذلك، لا بأس من الإشارة إلى أن **تفسير نصرة الإسلام** يتميّز عن غيره من التفاسير القرآنية المعهودة بخاصيّة جوهريّة، وهي تنْزيله لعددٍ من الآيات القرآنية على الواقع الذي كان يمرّ منه المغرب والعالم الإسلامي آنذاك، مما جعله يمدّنا بمادة تاريخية واجتماعية بالغة الأهمية عن المغرب مطلع القرن العشرين، ويعكس بذلك جانب من الظروف التاريخية الحرجة التي كان يعرفها المغرب والعالم الإسلامي إبان الحرب العالمية الأولى، أو «الحرب الهائلة» كما يسميها الفقيه لوقش.

---

(1) المصدر نفسه، ج. 2، 64-65؛ ج. 3، 225؛ محمد داود، **مختصر تاريخ تطوان**، مراجعة وتنقيح حسناء داوود (قرطبة: المصارة، 2008)، 104؛ محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج. 3 (تطوان: منشورات معهد مولاي الحسن، ج. 10 تطوان. 1382هـ/1976)، 176.

(2) انظر: السباح، «من أعلام شمال المغرب المغمورين: العالم المفسر عبد الوهاب بن محمد لوقش، الأندلسي أصلا، التطواني مولدا وقرارا، الطنجي هجرة ووفاة (ت 1341هـ)، **مجلة الزقاق**، العدد الثاني، طنجة (نونبر 2018)، 196-197. وتفاصيل أكثر في كتابه: **من أعلام المغرب: العالم المفسر عبد الوهاب لوقش الأندلسي التطواني ثم الطنجي (ت 1341هـ) -حياته وآثاره-** (طنجة: مطبعة سليكي أخوين، 2022).

(3) الرهوني، **عمدة**، ج. 3، 225-226؛ داود، **تاريخ**، ج. 2، 253-255.

(4) العنوان الكامل للكتاب هو: **تفسير نصرة الإسلام والإيمان والإحسان، في إخراج مقامات الدّين من القرآن، وفي جمع كلمة المسلمين شرقا ومغربا، على خليفة واحد للرّسول، صلّى الله عليه، والفرقان، مع تحقيق القراءات السّبع، بنسبتها لشيوخها، وما يسّر الله من القراءات الخارجة عن السّبع، وتوجيه ما يسّر الله توجيهه من ذلك**. وسنشير إليه فيما يأتي بـ: **تفسير نصرة الإسلام**.

(5) يقول في آخر جزء من تفسيره: «وكان الفراغ منْ تـبْـيـيـضه بحمد الله وتمام شكْره في ضحْوة يوم الجمعة الأبْرك، سابع أو ثامن رجب الفرد الحرام، عام تسْعةٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ وألْف، على يـد الحاجّ عبْد الوهّاب بْن محمّد لوقـش، الْقرشيّ، الأمويّ، المروانيّ، الأندلسيّ، المغربيّ، التّطْوانيّ، الْمهاجر الآن بطنْجة، منْذ أنْ دخل بلده الإصْبنْيول، إلى أنْ يمنّ الله عليْه بالهجرة والجمْع مع رجال الدولة العلية، إنْ شاء الله بحوله وقوته قريباً، آمين، والحمد لله ربّ العالمين». **تفسير نصرة الإسلام**، ج. 15، 299.

• عبد الوهاب لوقش «رجل مواقف»

لقد وصف محمد داوود (ت 1984م)، الفقيه عبد الوهاب لوقش- وقد اجتمعَ به بمدينة طنجة- بقوله: «الشَّيخُ الفَقيهُ الصّوفِيّ، سَيِّدي الحاجُّ عَبدُ الوَهّابِ لوقَشُ التِّطوانِيّ ... وَقَد كان، رَحِمَهُ اللَّه، مِن أَعيانِ تِطوانَ وَفُقَهائِها، وَلَهُ بِها مَواقِفُ مَذكورَة. وَكانَ واسِعَ الاِطِّلاع، فَصيحَ اللِّسان.» [6]

فما هي هذه «المواقف المذكورة» التي أوْمأ إليها الفقيه محمد داود؟

نعلم أن صاحب **تفسير نُصرة الإسلام** قد انخرط في قضايا عصره، وانتقد سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية ومن والاها، وسعى إلى إصلاح ما كان يراه معوجّا بالبلاد والمجتمع، ونادى بإيقاظ الهِمم وتطهير المجتمع من «المفاسد والأدران،» وضرورة الأخذ بأسباب القوة من أجل مواكبة التحولات التي كان يعرفها العالم آنذاك. وكان صريحا في انتقاده لخنوع السلاطين المغاربة للمحتلّين. ومما يؤْثر عنه أنه كان من مُعارضي مُقررات الجزيرة الخضراء،[7] ومن الموقِّعين على عريضة موجهة إلى الحاج محمد الطريس، نائب السلطان بطنجة، يطالبونه فيها بتنحيّة الشرطة المحدثة بتطوان بموجب عقد الجزيرة الخضراء،[8] واشتهر بانضمامه إلى الحِزب الحفيظي،[9] المعارض للسلطان المَولى عبد العزيز[10] قبل أن يوجِّه له سِهام نقده بعد توقيعه عقد الحماية مع الفرنسيين. وكان من موقّعي بيعة أهل تطوان للسلطان مولاي يوسف يوم رابع رمضان من سنة 1330هـ/16 غشت 1912م، بعد تنازل مولاي عبد الحفيظ عن العرش.[11]

ولعل ما يدلّ على أن عبد الوهاب لوقش كان رجل «مواقف» ومبادئ، هِجرتُه من مدينته تطوان حينما دخلتها الجيوش الإسبانية يوم 19 فبراير 1913م، عقِب فرض الحماية على البلد، وكانَ سِنه قَد زادت على الستّين فقد وضع موضع تنفيد مبدأ وجوب الهجرة من بلاد يسيطر عليها الكفار ولا يتمكّن المسلم فيها من إقامة دينه كما يجب. يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ

(6) محمد داود، **على رأس الأربعين**، تقديم وتعليق حسناء محمد داود (تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، 2001)، 182.

(7) انظر انتقاده لهذا المؤتمر في: لوقش، **تفسير**، ج. 3، 185.

(8) داود، **تاريخ**، ج. 10، 178؛ لوقش، **تفسير**، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 12-13.

(9) يقول محمد داود: «أمّا الجانب الحفيظيّ، فكانت له الأغلبيّة السّاحقة من الطّلبة والشّبّان والعوامّ. وكان في مقدّمة رجاله، الأمين الحاجّ محمّدٌ الصّفّار، وولده الفقيه السّيّد محمّدٌ الصَّفّار، والفقيه سيّدي أحمد الزّوّاقيّ، وأخوه الفقيه سيّدي محمّدٌ الزّوّاقيّ، والفقيه السيّد الحاجّ عبد الوهّاب لوقش، والفقيه سيّدي مصطفى أفيلال، وسيّدي الحسن حجّاج. داود، **تاريخ**، ج.10، 202.

(10) داود، **تاريخ**، ج. 10، 204؛ لوقش، **تفسير**، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 13.

(11) داود، **تاريخ**، ج. 10، 307؛ لوقش، **تفسير**، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 13.

تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾: «وفي الآية دليلٌ على وجوبِ الهجرة من موضع لا يتمكن فيه المرء من إقامة دينه، كما يجب... وقد هاجرتُ- يقول الفقيه لوقش- بحمد الله وحُسن عونه الجميل لما احتلّ الإصبنيول بلدي تطوان المغربية، بأهلي ومن أمكنني من عيالي، لطنجة المغربية حيث لم تُمكّني الهجرةُ إذ ذاك لتركيا، ما دامت الحرب الهائلة والفتن التي بعدها.»[1]

وحول هذا القرار السياسي والديني الخطير الذي اتّخذه الفقيه لوقش بمعيّة بعض رفاقه العلماء من تطوان، يقول محمد داود: «وَحَلَّ شَهرُ رَبيعٍ الأَوَّل، سَنَةَ 1331هـ، فَجاءَت قُوّاتُ إسبانِيا، وَاحتَلَّت تِطوانَ احتِلالاً سِلمِيّا، صَباحَ يَومِ عيدِ المَولِد، 12 رَبيعٍ الأَوَّل، 1331، مُوافِقِ 19 فَبرايَر، 1913، وَقَبَضَ الحاكِمُ الإسبانِيُّ عَلى زِمامِ السُّلطَة، فَبُهِتَ النّاس. وَعَقَدَ بَعضُ عُلَماءِ تِطوان، مُؤتَمَرًا سِرِّيًّا حَضَرَهُ أَربَعَةٌ مِنَ الأَشخاص. وَهُمُ المَرحومون: اَلسَّيِّدُ الحاجُّ عَبدُ الوَهّابِ لوقَش، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ العَرَبِيِّ الصَّبّاغ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ اللَّواجِرِيّ، وَالفَقيهُ الفَرطاخ. وَقَضَوْا في دارِ الصَّبّاغِ بِالصَّيّاغينَ لَيلَةً كامِلَةً في مُراجَعَةِ أَقوالِ العُلَماءِ وَفَتاويهِم، في حُكمِ الجُلوسِ تَحتَ الكُفّار. وَأَخيرًا استَقَرَّ الرَّأيُ عَلى الهِجرَةِ إلى أَرضٍ إسلامِيَّةٍ لا حُكمَ بِها إلاّ لِلمُسلِمين، وَلا سُلطَةَ بِها إلاّ لِلشَّريعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ السَّمحاء.»[2]

والواقع أن علماء تطوان لم يكونوا الوحيدين الذين اختاروا الهجرة، رَفْضًا للحماية الفرنسية والإسبانية، وإنما نجد على شاكلتهم عددا من علماء المغرب وصلحائه.[3] وقد ألف

---

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 3، 86-88؛ وج. 9، 260. ويكرّر هذا القول في مواضع متعددة من مؤلفه، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾: «وقد خرجت من بلدي تطوان لما استولى عليها الصبنيول برأسي لطنجة، ثم لحقني عيالي الذين في نفقتي. وأنا أرجو كمال الهجرة لتركيا أو الشام، مهما كملت الحرب وأطلقت الطريق، إن شاء الله» لوقش، **تفسير**، ج. 4، 292-293. ولا يتوقف عن تذكيرنا بأنه «الحاج عبد الوهاب لوقش القرشي الأموي المرواني المغربي التطواني، المهاجر الآن بطنجة، حتى يفتح الله طريق الإسلام إلى دولة الخلافة المحمدية...» لوقش، تفسير،ج. 6، 3 و ج. 260،9.

(2) داود، على رأس، 162-163. وفي تفسيره لآية: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ يقول الفقيه لوقش: «وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين فيها، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين. يعني: أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه، ولم يتمش له أمر دينه؛ فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا، وأصح دينا، وأكثر عبادة. والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا؛ فوطن المؤمن هو أين يجد سلامة دينه وعياله، وأنفسهم وأموالهم، والأولى يقدم على الأدنى في ذلك. وأحق الأرض التي يهاجر إليها الآن بالمغرب، طنجة، فنحن بها حتى يفتح الله علينا وعلى المسلمين فيما هو أولى وأفضل، فنهاجر إليها بعدها إن شاء الله بحوله وقوته.» لوقش، **تفسير**، ج. 10، 40؛ ج. 9، 260.

(3) نذكر منهم: الشّيخ محمّد بن عبد الكبير الكتّانيّ، (ت 1327هـ)، وشيخ الإسلام، محمّد بن جعفرٍ الكتّانيّ، وعبد الصّمد ومحمّد، ابنا التّهاميّ كنّون، والشّيخ سيّدي أحمد الهيبة، تلميذ الشّيخ ماء العينين... وغيرهم كثير. انظر تفاصيل ذلك في لوقش، **تفسير**، تقديم الجزء الأول، 15.

علماء المغرب- وفقهاء الأندلس قبلهم-،[1] تآليف في وُجوبِ الهِجرَة من بلاد سيطر عليها «الكفار؛» وقد وصلتنا عناوين عدد من التآليف في هذا المَوضوع.[2]

ولم تكن الهجرة مقتصرة على العلماء وعليّة القوم، وإنما انخرط فيها عموم ساكنة تطوان الذين لم يكونوا ليقبلوا بالعيش على أرض خرجت من سيطرة المسلمين، مثلهم في ذلك مثل أسلافهم الأندلسيين الذين هاجروا بعد استيلاء النصارى على ديارهم.[3] وبهذا الصدد يقول التِّهامِيُّ الوَزّانِيّ، (ت 1392هـ/1972م) وهو شاهد عيان: «... وَسادَت فِكرَةُ أَنَّ الرِّضى بِحُكمِ الأَجنَبِيِّ كُفر، فَأَخَذَ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ يَفِرّونَ مِن تِطوانَ وَغَيرِها، وَيَسكُنونَ طَنجَة، لِما لَها مِنَ الصِّفَةِ الدُّوَلِيَّة. وَأَخَذَ المُجاهِدونَ يُسَمّونَ سُكّانَ المُدُنِ نَصرانِيًّا وَنِصفا. فَكانوا يَرَونَ التِّطوانِيّينَ شَرًّا مِنَ الأَجانِب.»[4] بَل وَصَلَ الأَمرُ إلى أَنَّ العَجائِزَ وَالأَرامِل، صِرنَ يُفَكِّرنَ في الهِجرَةِ إلى طَنجَة.»[5]

ولعل الصفة الدولية التي اكتسبتها طنجة هي التي جعلتها موئلا للمهاجرين من تطوان، ونضيف سببا آخر يكمن في طبيعة العيش فيها والفرص العديدة التي توفرها المدينة وما تتمتع به من أمن وأمان. يقول الفقيه لوقش: «وأحق الأرض التي يهاجر إليها الآن بالمغرب، طنجة، فنحن بها حتى يفتح الله علينا وعلى المسلمين فيما هو أولى وأفضل، فنهاجر إليها بعدها إن شاء الله بحوله وقوته، آمين،»[6] مضيفا في موضع آخر: «ولذلك كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا، أكثر وأوسع وأطيب...، وكذلك قد وجدنا، والحمد لله، سعة وراحة وأمنا في هجرتنا لطنجة، أفضل من بلدنا، كمل الله علينا بخير.»[7]

ولم تكن طنجة سوى محطة مؤقتة بانتظار الفرصة لاستكمال سفَره نحو مقصده النهائي: الدولة العثمانية، واللحاق بالمجاهدين الأتراك والاجتماع برجالات دولتهم هناك. وقد أفصح الفقيه لوقش في تفسيره مرات عديدة عن رغبته الشَّديدَةِ في الهِجرَةِ نحو «دولة الخلافة

(1) انظر: محمد الشريف، «تساؤلات حول أصالة فتوى «أسنى المتاجر» لأحمد الونشريسي،» ضمن أعمال الندوة الدولية: تحولات الفكر الأندلسي (تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 2017)، 159-177.

(2) محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج. 2** (الرباط: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1983)، 148-151.

(3) انظر: محمد الشريف، «قضايا حرجة من تاريخ المغرب مطلع العصر الحديث: بين التاريخ والفقه (العلاقة بين المغاربة والمحتل الإيبيري)،» مجلة **أسطور** (الدوحة)، العدد 13 (2021)، 51-71.

(4) التهامي الوزاني، **تاريخ المغرب**، ج. 3 (تطوان: مطبعة الريف، 1940)، 149.

(5) التهامي الوزاني، **الزاوية، أو كيف أحببت التصوف**، تقديم عبد العزيز السعود (تطوان: منشورات جمعية تطّاون أسمير، 1999)، 26-27.

(6) لوقش، **تفسير**، ج. 10، 41.

(7) المصدر نفسه، ج. 10، 43.

الإسلامية التركية،»[1] بمفرده أو حتى بمعية أهله.[2] كما أفصح مرّة عن رغبته في الهجرة إلى مصر.[3]

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو: لماذا كان ينوي عبد الوهاب لوقش الهجرة إلى الدولة العثمانية، وما هي الأسباب الكامنة وراء ولائه الشديد لها، والدعاء لها بصفة متكررة في تفسيره.

• لوقش والانخراط في الدعاية العثمانية بالمغرب

إن المتصفِّح لكتاب **تفسير نصرة الإسلام** ليلْحظ بسهولة انخراط الفقيه لوقش في الدعاية لفكرة الجامعة الإسلامية، وليَسْترْعيه ولاؤه الشديد للدولة العثمانية التي دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور، ومناصرته لها. فَلا تكاد تمرّ آية إلاّ اهتبلها للدعوة إلى طاعة الدولة العثمانية، وما من آية آية لها علاقة بالخلافة والنصرة والجهاد إلا فسرها لصالحها حتى نُعت برجل «التفسير العثماني للقرآن الكَريم،»[4] ويفصح الشقّ الأول من عنوان الكتاب: **نُصرة الإسلام** عن البُعد السياسي في الكتاب، وهو المتمثّل في الدعوة إلى توحيد الأمّة الإسلامية برمّتها تحت لواء واحد، وهو لواء الخلافة العثمانية آنذاك،[5] بل نكاد نجزمُ بأن كتاب عبد الوهاب لوقش هو التفسير الوحيد الذي يصحّ أن يُنعت بأنه «تفسير سياسي،» حيث إن همّ الوحدة الإسلامية والدعوة إلى إحياء الخلافة الإسلامية طغيا على التفسير من أوله إلى آخره.[6] ولفهم هذا الولاء للدولة العثمانية والمحبّة الشديدة التي أبان عنها الفقيه لوقش على طول صفحات تفسيره للقرآن الكريم، ينبغي التذكير بأن دعاية الجامعة الإسلامية كانت قد وجدت استجابة واسعة لها في الشرق العربي، منذ أطلق نداءها السلطان عبد الحميد الثاني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واعتنق جل السلفيين المغاربة مبدأ حركة الجامعة الإسلامية،

(1) المرجع نفسه، ج. 3، 86-88؛ وج. 9، 260.

(2) - يقول مثلا: «... ولهذا - والحمد لله- فررت بديني من بلدي تطوان المغربية لطنجة بقصد أن ألحق بالشام وأرض دولة الخلافة الإسلامية التركية، نصرها الله، وزاد في عزها وغلبتها واستيلائها، ثم لما سدّ البحر بالحرب الحاضرة، لحقني أهلي وولدي الذكور الثلاثة، وفقهم الله وحفظهم، غير بنتيْن متزوجتيْن في حكم زوجيْهما، ولهما بنون صغارا لم ييسّر الله إلى الآن الجمْع بهما، ثم زارتني إحداهما مرتيْن، وأنا في رجاء فتح الطريق، وألحق بدولة الإسلام ولو وحدي، إن شاء الله تعالى.» لوقش، **تفسير**، ج. 7، 42، وانظر كذلك: ج. 9، 260.

(3) لوقش، **تفسير**، ج. 14، 250.

(4) المصدر نفسه، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 28.

(5) خالد زهري، «أضواء على تحقيق د. جعفر ابن الحاج السلمي لتفسير لوقش،» ضمن كتاب: **أقوم منهاج في تكريم جعفر ابن الحاج**، تنسيق محمد رضى بودشار وأحمد السعيدي (تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية وجمعية تطاون أسمير، 2015)، 42.

(6) المرجع نفسه.

وانتشرت بينهم الفكرة الداعية لضرورة التعاون بين المسلمين لمواجهة أطماع الأوروبيين. وقد شكّل انخراط دولة الخلافة في أتون الحرب العالمية الأولى (يوم 3 نوفمبر 1914م)، إلى جانب دور المحْور، أوج الاستقطاب العثماني للعالم الإسلامي. وصاحبت تلك الحرب معركة «إعلامية» ودعائية لا تقلّ ضراوة عن المعارك العسكرية؛ كما وفّرت هذه الحرب للسلطات العثمانية سلاحا فعّالا من شأنه أن يلفّ حولها كافة مسلمي العالم، ويثيرها ضد أعدائها الذين كانوا يستعمرونهم، ألا وهو سلاح الدين؛ وذلك لِما كان لها من نفوذ روحي على المسلمين، باعتبارها مركز خلافتهم، ورمز وحدتهم، ومحط آمالهم.[1]

ولم تكن هذه الدعاية وليدة انخراط الدولة العثمانية في الحرب العالمية، وإنما ترجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الأقل، وإلى حرب القِرم؛ وبهذا الصدد يصف التّهامي الوَزّاني، ما كان يدور في تِطوان، قبيل الحماية، قائِلا: «وَفي هاذِهِ الظُّروف، كانَت حَربُ القِرم، قائِمَةً عَلى قَدَمٍ وَساق، وَالأَخبارُ تَتَوارَدُ بِانتِصارِ الأَتراكِ عَلى أُمَمِ البَلقان، وَصُوَرُ الحُروبِ وَالقُوّادِ الأَتراك، قَد مَلأَت كُلَّ جِهَةٍ وَمَكان.... فَكُنّا مُغرَمينَ بِالأَتراك، وَالسُّلطانِ العُثمانِيّ. فَكانَ شُعَيب، [اَلحَدّادُ الرّيفِيُّ الفَقير]، يَصنَعُ لَنا مِنَ النُّحاس، نُجومًا وَأَهِلَّةً نـُعَلِّقـُها عَلى صُدورِنا، وَبَينَ أَعيُنِنا، في طَرابيشِنا. ثُمَّ يَذكُرُ لَنا أَسماءَ رِجالٍ مِن بَينِهِم باشا شَوكَت ... وَكانَ شُعَيب، يَذكُرُ أَنَّ العُثمانِيّينَ لا بُدَّ أَن يَصِلوا إلى المَغرِب، وَيُقيموا الشَّريعَة، وَوَظيفَ الجِهاد.»[2]

واستمرت هذه الدعاية العثمانية وتقوّت بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبدأت تعمل على تنظيم الدعاية بترويج فكرة الجهاد عن طريق استمالة بعض الشخصيات المغربية والمغاربية لتوظيفها في خدمة أهدافها الاستراتيجية، وكانت هذه الدعاية مدعومة بقوة من رجالات الدولة الألمانية، وأشركت فيها ليس فقط العلماء والصحافيين والأئمة والوعّاظ، وإنما كذلك «الضباط والمستشرقين الألمان وعملاء المخابرات الألمانية الذين أرسلوا إلى كل بقعة إسلامية استطاعوا الوصول إليها، يدعون فيها للجهاد والوقوف في وجه الحلفاء.»[3]

إن مراهنة كل من الدولة العثمانية وألمانيا على أهمية الدعاية في استمالة المسلمين، جعلهما تستعملان كل الوسائل لإيصال مناشيرهما ونشرياتهما الدعائية السرية، إلى سكان الأقطار الإسلامية لإثارتهم ضد مستعمريهم.[4] فدفعت ببعض علمائها للاستقرار بمدن المغرب

(1) التليلي العجيلي، **السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى** (تونس: مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، 2018)، 174.

(2) الوزاني، **الزاوية**، 79؛ لوقش، **تفسير**، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 28-29.

(3) التليلي، **السياسة**، 190.

(4) لحسن أوري، وحسن أدجوز، «الدعاية الألمانية العثمانية بالمغرب خلال الحرب العالمية الأولى، ضمن كتاب: **الدولة العثمانية والعرب خلال الحرب العالمية الأولى** (بغداد: دار الحداثة للطباعة والنشر، 2022)، 437، 444.

مثل فاس وطنجة، و»صاروا يُقَدِّمونَ نَصائِحَهُم لِعُلَماءِ المَغرِب، في خُصوصِ الشُّؤونِ الدُّوَلِيَّة، كَما يُقَدِّمونَ اقتِراحاتٍ وَنَصائِحَ لِلدَّولَةِ المَغرِبِيَّة.»[1] واشترط علماء فاس من جانبهم، في بيعتهم على السلطان المولى عبد الحفيظ أنه «إن دَعَتِ الضَّرورَةُ إلى اتِّحادٍ أَو تَعاضُد، فَليَكُن مَعَ إخوانِنا المُسلِمين، كَآلِ عُثمان، وَأَمثالِهِم مِن بَقِيَّةِ المَمالِكِ الإسلامِيَّةِ المُستَقِلَّة.»[2]

ونجحت الدولة العثمانية في كسب دعم بعض زوايا المغرب، مثل الزاوية الكتانية بفاس التي رفعت لواء نصرة الدولة العثمانية وضرورة الجهاد بجانبها.[3]

كما كان للصحافة نصيب في هذه الدعاية، مثل جريدة «العدل» التي كانت تنشر أفكار الجامعة الإسلامية و«تروج في البلاد التونسية تحت المعاطف،» كما أمكن كذلك تسريبها إلى داخل المغرب الأقصى؛[4]؛ وجريدة «الحقّ،» التي كانت تصدر في طنجة باللّغة العربيّة. وكانت بدورها تبشّر بفكرة الجامعة الإسلاميّة،» ومجلّة الصّباح، الصّادرة بطنجة كذلك، وكانت تنشر مقالاتٍ في التّعريف بالدّستور العثمانيّ،[5] والمدارس الشرّقيّة.[6]

وعملت الدولة العثمانية - بمعيّة حليفتها ألمانيا - على تنظيم الدعاية بترويج فكرة الجهاد عن طريق استمالة بعض الشخصيات المغربية والمغاربية لتوظيفها في خدمة أهدافها الاستراتيجية، واستفادت من النشاط الدعائي للعديد من الوطنيين من مختلف الأقطار الإسلامية،[7] واستقطبت بعض «الرموز» التي لها وَجاهتها والمعروفة بصيتها ووزنها في عمليات عسكرية، مثل الأمير عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1343هـ/1916م) داعية

---

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 1. 141. وانظر كذلك: خديجة القباقبي اليعقوبي، «الإصلاحات الدستورية الأولى بالمغرب والإمبراطورية العثمانية،» ضمن كتاب: **الذاكرة المشتركة المغربية- التركية**، تنسيق عبد الرحمان المودن وعبد الحفيظ الطبايلي ونور الدين لهريم (الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2018)، 492 وما يليها.

(2) لوقش، **تفسير**، ج. 141؛ الوزاني، **تاريخ**، ج. 3، 124.

(3) لوقش، **تفسير**، ج. 1، 14.

(4) التليلي، **السياسة**، 227.

(5) يقول أحمد كافي: «كان القصد من طلب نظام الدستور التركي الاستفادة منه والنسج على منواله... لأن حساسية دار الإيمان ودار الكفر جعلت التفضيل يتجه إلى الأخذ من العثمانيين نسل آل عثمان وترك غيرهم.» أحمد كافي، **مشاريع الإصلاح السياسي في المغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين** (القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2013)، 95.

(6) محمد المنوني، **المصادر العربيّة لتاريخ المغرب**، ج. 3 (الرباط: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1983)، 284؛ وج.2، 170.

(7) أمثال الشيخ صالح الشريف التونسي، صاحب كتاب **الجهاد فريضة مقدسة** الذي طبع بإسطنبول منذ بداية نوفمبر 1914) في خمسين ألف نسخة. انظر: عمايرة حفناوي، «صالح الشريف (1869-1920)، نضاله ومواقفه أثناء الحرب العالمية الأولى،» روافد، عدد 44 (1984): 226-251؛ وسليمان الباروني، ومحمد العتّابيّ الرّباطيّ، أحد علماء القرويين، وأحد كتاب المخزن اليوسفيّ، وعبد العزيز جاويش، وغيرهم كثير.

العثمانيين بالمغرب أيام الحرب العالمية الأولى، وكان جيشه ببني مستارة بالمغرب يضم ضباطا أتراك وألمان[1] وكانَ «يَنشُرُ المَناشير، يَدعو النّاسَ إلى طاعَةِ السُّلطانِ العُثمانيِّ، مُحَمَّدٍ رَشاد. وَدَعا إلى الجِهاد، تَحتَ الرّايَةِ الخَضراء، وَصارَ يُكاتِبُ زُعَماءَ القَبائِل.»[2]

واستمرت الدعاية العثمانية تفعل فعلها في نفوس المغاربة، سواء في صفوف عامة الناس أو خاصتهم من العلماء، وخاصة بعد الانتصارات الأولى التي حققها العثمانيون وصمودهم في الدّردنيل، والخيبات المتتالية التي منيت بها قوات الحلفاء في ربيع 1915م. يقول التهامي الوزاني: «وَكانَتِ الأَخبارُ تَصِلُ بِذِكرِ هذِهِ الحَوادِث، فَرَغمَ أَنَّ المَغرِبَ كانَ في حالَةِ اضطِراب، وَخُصوصًا في مِنطَقَةِ الشَّمال، اَلَّتي احتَلَّها الإسبانِيّون، كانَت هذِهِ الأَخبارُ أَقوى تَأثيرًا عَلَينا مِمّا نُشاهِدُهُ بِأَعيُنِنا؛ فَإِنَّنا إذ ذاك، لَم نَكُن نَعتَني بِأَخبارِ المَغرِب، مِثلَما نَعتَني بِأَخبارِ المَشرِق، نَظَرًا لِأَنَّ أَخبارَ المَشرِق، تَصِلُنا مَكتوبَةً في الصُّحُفِ وَالنَّشَرات، زِيادَةً عَلى الرَّسائِلِ الخُصوصِيَّة.»[3]

بل إن الدولة العثمانية رامت استقطاب السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ إلى جانبها، فدأبت على إرسال رجال مخابراتها إليه،[4] وأُشيع عنه أنه «يرغب في عقد تحالف مع سلطان تركيا، ويريد أن يعيش تحت حمايته»[5] وكان استقدامه لبعثة عسكرية تركية للمغرب يدخل في إطار حركة الجامعة الإسلامية، وكان قائد تلك البعثة ضابطا في الجيش التركي وعضوا في جمعية إسلامية سرية تسمى «الاتحاد المغاربي،» وهذه الجمعية هي التي «تدخلت لدى سلطات تركيا لتجنيد ضباط مسلمين بهدف تنظيم مقاومة الاحتلال الأوروبي لدول المغرب العربي.»[6]

وظل السلطان مولاي عبد الحفيظ على اتصال بالأوساط الإسلامية والتركية من سنة 1912م إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، وجرت معه اتصالات عندما كان في إسبانيا لكي يقود

---

(1) التليلي، **السياسة**، 202-203؛ أبو القاسم سعد الله، «وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد الملك الجزائري بالمغرب،» المجلة التاريخية المغاربية، عدد 1 (جانفيي 1974): 52-69.

(2) الوزاني، **تاريخ**، ج.3، 162.

(3) الوزاني، **الزاوية**، 71.

(4) ذكر أحد ضباط البعثة العسكرية التركية التي جندها مولاي حفيظ، «سلطان الجهاد» لتدريب جيشه، والتي شرعت في عملها بالمغرب خلال شهر نوفمبر 1909، أنهم كونوا «تنظيما يسمى «فتيان المغرب» على غرار «تركيا الفتاة،» وذكر أن عددا من التونسيين والجزائريين انخرطوا في ذلك التنظيم.... وكان أعضاء ذلك التنظيم يرسلون عدة تقارير للسفيرين التركيين بمدريد وباريس. علال الخديمي، «المغرب والدولة العثمانية بداية القرن العشرين،» ضمن: **المغارب في العهد العثماني**، تنسيق عبد الرحمان المودن الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995)، 62-63.

(5) الخديمي، «المغرب والدولة،» 61.

(6) المرجع نفسه، 64-65.

أو يمنح تأييده لثورة عارمة في شمال إفريقيا؛[1] بل وصل الأمر إلى توجيه «رسالة مفتوحة» إليه تذكره بأمجاد الأجداد، وتدعوه إلى إعلان الثورة ضد الفرنسيين في بلاده.[2]

فما مدى تأثر الفقيه لوقش بهذه الدعاية العثمانية الألمانية، وكيف انعكس ذلك التأثير في تفسيره للقرآن الكريم؟

• صدى «الفتوى الشريفة» في تفسير لوقش؟

يتمثل أول قرار تلى دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، في صدور فتوى إعلان الجهاد ضد الحلفاء، وهي «الفتوى الشريفة» التي حرّرها شيخ الإسلام آنذاك خيري بن عون الأركوبي يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914م، وكانت تروم تعبئة كافة مسلمي العالم ضد الحلفاء، تحت لواء الجهاد.[3]

لقد جاء في الفتوى أن الجهاد أصبح فرض عين على كل مسلم في جميع أصقاع الأرض وذلك بالأموال والأنفس، واعتبرت أن مهاجمة الأعداء «للديار الإسلامية والغارة عليها» مع ما يترتب على ذلك من «غصب للممالك الإسلامية» و«أسر وسبي للمسلمين» يفرض عليهم جميعا الجهاد، استجابة لأمر خليفة الإسلام و«عملا» بقوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[4]

واعتبرت الفتوى أن عدوان دول الحلفاء يروم «إطفاء نور الإسلام،» وهو أمر كاف لفرض الجهاد على المسلمين الذين تحت إدارة دول الاحتلال، كما يحرم عليهم شرعا أن يحاربوا عساكر الحكومة الإسلامية حتى ولو بلغ إكراه حكومات تلك الدول لهم على القتال في صفوفها إلى حد إفنائهم هم وعائلاتهم. كل ذلك يوجب على كافة «المسلمين...شبانهم وشيبهم، ومشاتهم وفرسانهم، المنتشرين في جميع الأقطار» الجهاد «كفرض عين» عليهم «بالأموال والأنفس. وإذا تخلف بعضهم عن الجهاد وكان في تخلفهم ضرر على الخلافة والأقطار الإسلامية التابعة لها فإنهم يقعون في الإثم ويستحقون لذلك العذاب الأليم.

---

(1) وبهذا الصدد يقول علّالٌ الفاسّي: «وقد أخبرني السّيّد العتّابّي، أنّ الدّولة العثمانيّة كانت عازمةً على مساعدة الحركة المغربيّة بالرّجال والسّلاح، ولكنّها لم تجد عند المولى عبد الحفيظ، الّذي بعثت إليه في مدريد، استعدادًا كافيًا للعمل. ثمّ ضعفت عزيمتها بعد ثورة الشّريف الحسين في الحجاز». علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** (طنجة: نشر وتوزيع عبد السلام جسوس، 1948)، 130.

(2) التليلي، **السياسة**، 203.

(3) - انظر نصها في التليلي العجيلي، **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918** (تونس: منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ط. 2، 2010)، الملحق 6.

(4) سورة التوبة، الآية: 41.

إن المتأمل في نص «الفتوى الشريفة» يلاحظ أنه صيغ في اتجاه من شأنه أن يلفّ المسلمين حول الدولة العثمانية التي صورتها الفتوى «ضحية» اعتداءات الحلفاء الذين ساموا - كذلك- المسلمين المستعمرين لهم سوء المعاملة ونير الاستغلال، مما جعل من فرنسا وحلفائها عدوا مشتركا لكافة مسلمي العالم، الذين عليهم - تبعا لذلك- الإسراع بإعلان الجهاد، ومعاضدة جهود الدولة العلية «ونصرائها،» لأن كل تخلف عن ذلك أو انخراط في صفوف الأعداء يعد «إثما عظيما» و»معصية شنيعة» وعملا «حراما شرعا» يستوجب «الغضب الإلهي،» ويكون جزاء فاعله «عذاب أليم» في «نار جهنم.»[1]

لقد مثّل صدور «الفتوى الشريفة» «ضربة بداية لحملة دعائية واسعة النطاق، تعددت فيها البيانات والنداءات المعتمدة على الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثّة على الاستجابة للنداء إلى الجهاد، ودخول كافة المسلكين في حرب شاملة ضد الحلفاء. ولقد تم الترويج للفتوى في كل أنحاء العالم الإسلامي، وبالخصوص بين المسلمين الذين تستعمرهم دول «الحلف الثلاثي،» من خلال حملة إعلامية مكثفة اشتركت فيها الصحافة والعلماء والوعّاظ والمحرضين، وترجمت إلى كل اللغات التي تنطقها الشعوب الإسلامية.[2]

هل وصلت «الفتوى الشريفة» إلى طنجة واطلع عليها الفقيه عبد الوهاب لوقش، وتأثر بها في تفسيره للقرآن الكريم؟ نشير إلى أنه في إطار الحملة الإعلامية تكونت «لجنة الدعاية» لفتوى الجهاد، وكلّف بدْبو باشا (Bedbou Pacha) بالذهاب إلى المغرب، فانتقل من إشقودرة (Scutari) إلى الجزيرة، حيث التقى بلجنة واستشار مع أعضائها فيما يتعلق بالخطة اللازم اتباعها قصد تنظيم ثورة، ونشر الفتوى في المغرب.[3]

• الجهاد في «تفسير نصرة الإسلام»

من المتفق عليه بين الأئمة أن الجهاد فرض كفاية، وأنه يتحول إلى فرض عين في حالة ما إذا أصبح بلد من البلدان الإسلامية مهددا بالاحتلال،[4] وبهذا الفهم يأخذ الفقيه عبد الوهاب لوقش حينما يقول موضحا: «اعلم أن الجهاد ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية. ففرضُ العين، أن يدخل العدو دار قوم مؤمنين وبلادَهم، فيجب ويتعين الجهاد حينئذ على كل مكلَّف مُكلّف» وإن على امرأة،» كما قال خليل: «ووجب بفجْأ عدو، وإن على امرأة وعبد،» كما هو

(1) التليلي، **صدى**، 179- 180.

(2) المرجع نفسه، 183، 188-189.

(3) المرجع نفسه، 190.

(4) انظر: ابن رشد، **المقدمات**، 263؛ ابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ج. 1، 380؛ ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج. 1، 105؛ ج.2، 954؛ ابن حزم، **المحلى**، ج. 7، 291.

وجب الآن بمشرق الأرض ومغاربها، على جميع المسلمين، وتعيّن أيضا بتعيين الإمام شخصا، ولو امرأة وعبدا. وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين، فرض كفاية.»[1]

وعلى طول صفحات كتاب **تفسير نصرة الإسلام**، نجد الفقيه لوقش يستعمل بكثافة الآيات القرآنية المحرضة على الجهاد والمعدِّدة لفضائله، والأحاديث النبوية الواردة في فَضله وتعداد فوائده، في تأكيد وإلحاح لا مثيل له على أهمية الجهاد في حفظ دين المسلمين ودنياهم واعتباره أساسَ بقاء الدين وأهله، مؤكدا أنه الخيار الأوحد لصوْن حُرمة مقدساتهم، وتحريرهم من ربَقة مستعمريهم «المتناصرين على استئصال الإسلام وأهله،» ومخططهم بـ «نقل الحرميْن الشريفين لبلاد فرنسا ولُنْدرا،»[2] محذرا من مغبّة ترك المسلمين للجهاد.[3]

إن تأكيد الفقيه لوقش على الجهاد كخيار واحد ووحيد لتحرير المسلمين، وإعلاء شأنهم كما كان الأمر مع أسلافهم، يتطلب من المسلمين امتلاك أسباب القوة، ليس فقط بإخضاعهم للتدريب، وجعلهم قادرين على حمل السلاح، وإنما كذلك بالخصوص «بالتسلح بكل مستلزمات الحرب،» واتخاذ الاستعدادات الحربية والمادية اللازمة «من اهتمام بالزراعة والغرس والحرث، وإتقان الزراعة وعمارة الأرض بها، حتى تستغني بهم مملكتهم، وتقوى على جهاد أعدائهم،» ويوضح الفقيه لوقش قناعته هذه قائلا: «وحيث صارت الآن قوة العدوّ المالَ والسياسة، والتجارة والصناعة، والزراعة والفلاحة، والآلات الوقتية؛ فينبغي لنا أن نقابله بمثلها.» [4]ويضيف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: كل ما تستطيعون به مقابلتهم «هجوما ودفاعا، سواء بالبر أو البحر، على وجه البر أو فوق الهواء، على وجه البحر أو داخله، ومن قوة آلات واختراعات عقولكم...ومن سياسة وصناعة وزراعة وفلاحة وتجارة وعِلْم وهمل به.»[5]

ويتعجّب الفقيه لوقش من خفوت روح الجهاد في زمنه، رغم توفر سُبل ودواعي القيام به، فيقول: «وما أزهَدَ أهلَ أزمنتِنا بمَشارقِ الأَرض ومغاربِها في الجِهاد، لزُهدهم في

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 3، 85.

(2) المصدر نفسه، ج. 3، 150، ج. 2، 243، ج. 4 159.

(3) في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: «فيه توكيد الأمر وتجديده، وشرحه بالجهاد بالأنفس والأموال، أو إيجابه على العباد كلّهم؛ فالفقراء يجاهدون بأنفسهم، والأغنياء بأموالهم وأنفسهم، إذ لا عذر فيه، لتوهين شوكة الكفر، وإذلال أهله وقهرهم، وظهور الإسلام، وإعلاء كلمة الله في أقطار الدّنيا، فالجهاد من أكبر الفرائض وأعظمها. وهو فرض كفاية، مهما كان البعض يقوم به أتمّ قيامٍ في كلّ جهة، وتحصل نتائج الدّين كما أمر الله على الدّوام. فإن كان لا يقوم بالعدوّ كذلك إلاّ جميع المسلمين، وجب عليهم وجوب عين.» لوقش، **تفسير**، ج. 5، 47.

(4) لوقش، **تفسير**، ج. 15، 57.

(5) المصدر نفسه، ج. 1، 37، 42، 54، و ج. 2، 48.

نُصرَة دين الله، وفي إعلاءِ كلمتِه، وفي إظهار الدّينِ على الأَديان كلِّها، مع ما يَجِدون مِن كَثرةِ النَّفَقَةِ والسَّعةِ والكُراعِ والسِّلاح، وكَثرةِ الآلات، وكثرةِ السَّواد، ومساعدةِ خليفةِ الإسلام الأَعظم، مُحَمَّـدٍ راشِد، نَصَرَهُ الله، مِن كُلِّ وَجه... لأنَّ أساسَ الدّين الجِهاد.»[1]

ويحذّر لوقش من مغبّة التهاون في القيام بالجهاد والنتائج الوخيمة المترتبة عن ذلك وعلى رأسها تفقير المغاربة وإفساد دينهم. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: «فكم الآن في الأمة من محرومين لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، حيث احتل الكفار أراضي الإسلام، واستبدوا بالصنائع والحرف، والتجارة وبيت المال، وخراج الأملاك المضافة إليه، وتركوا غالب المسلمين عطّالين بطّالين، لا شغل لهم ولا مال عندهم، مع تحْجير الأرزاق وغلائها، والضغط فيها عليهم، وقبض أنواع الضرائب منهم، والضرب على أيديهم من كل وجه، فقد فلَّست أوروبا أهل الإسلام وأفسدت عليهم دينهم وأولادهم، وهذه هي الحضارة التي كانوا يدعون في جرانيلهم[2] منذ أزمان.»[3]

ويقول في تفسيره لآية: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: «وأنت ترى لمّا تهاونت الأمّة بالأمر بالاعتصام، وبالنهي عن التفرّق كيف تشتّتت كلمتها بمشارق الأرض ومغاربها، وضعفت قلوبها، وكثر نفاقها وحسدها وبغضاؤها، وسُلِّط عليها عدوُّها، فاحتلّ غالب أرض إسلامِها، وملَك رقابها وأولادَها وأموالَها، واستعْبدها، وحكَّم فيها أنواع الذُّل والمهانة والقتل، وما شاء فيها، وفي بيت مالها وأحباسها. ولا دواء لها إلا بالرجوع للاعتصام بحبل الله، وهو العمل بالقرآن والسُّنة ظاهرا وباطنا، بعد الجمع على خليفة واحد، عن القرآن والسنة، والقيام بالجهاد دوما، إذ صار متعينا «وإن على امرأة» بمشارق الأرض ومغاربها.»[4]

ويؤكد لوقش على أن الكافرين ما تغلبوا على المسلمين إلا لتشتت هؤلاء وتفرقتهم، من جهة، ولتخليهم عن فريضة الجهاد، من جهة أخرى، «كما هو واقع الآن... وأما ما وقع اليوم وقبله من انقلاب الحال، بغلبة الكافرين على المسلمين بغالب مشارق الأرض ومغاربها، فبسبب أن غالب أهل الظاهر من الأمة رفضوا الشريعة والعمل بالقرآن والسنة، ورضوا بالدنيا عن الآخرة، وتركوا الجهاد رأسا، فأذلهم الله عسى أن يرجعوا إلى دينهم والجهاد.»[5]

---

(1) المصدر نفسه، ج. 5، 84.

(2) [أي جرائدهم].

(3) لوقش، **تفسير**، ج. 14، 99-100.

(4) المصدر نفسه، ج. 2، 177.

(5) المصدر نفسه، ج. 12، 104.

وفي مكان آخر يقول: «وتفرقوا عن الخليفة الواحد الجامع لكلمة الإسلام، وصيروا الخِلافة المحمدية ملوكا يستبد كل واحد منهم وقومه وأتباعه برأيهم دون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوقعوا فيما نهاهم الله عنه بقوله: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} فوجدت أوروبا عليهم سبيلا، ففاجأتهم بمشارق الأرض ومغاربها، واستعبدتهم كما شاءت، وتناصرت على استئصال الإسلام وأهله.»[1]

وفي تفسيره لآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ يقول: «أُمِروا بقتال الأَقربِ مِنهُم فالأَقرَب... فالقِتالُ واجبٌ مع جميعِ الكَفَرَة، قريبِهم وبعيدِهم، ولكنِ الأَقرَب، فالأَقربُ أَوجَب... وهكذا المفروضُ على أهل كلِّ ناحيةٍ أن يُقاتلوا كلَّ مَن وَلِيَهم... وهكذا كانَ الأَمر، لمّا كانتِ القُرونُ الثَّلاثةُ الَّذينَ هم خيرُ هذِهِ الأُمَّةِ في غاية الاِستقامَة، لم يزالوا ظاهِرين على عَدُوّهم، ولم تزَل الفتوحاتُ كثيرة، والأَعداءُ في سَفال وخَسار. ثُمَّ لما وقعتِ الفِتنَةُ والأَهواء، والاِختلافاتُ بين المُلوك، طمِعَتِ الأَعداء في أطرافِ البِلاد، وتَقَدَّمَوا إليها. فَلم يُمانَعوا لشُغل المُلوك بعضِهم ببعض، ثُمَّ تَقَدَّمَوا إلى حَوزة الإسلام، فأَخَذوا مِن الأَطراف بُلدانا كثيرة. ثُمَّ لم يَزالوا، حَتّى استَحوَذوا على كَثير مِن بلاد الإسلام، ووصَل المُتناصرون إلى ما وصَلوا، أو أضمَروا ما أضمَروا، إلى أن هيَّأ اللهُ الحربَ الحاضرةَ على هاذِهِ الكَيفَيَّةِ العَجيبة.»[2]

فالفرقة والتشتت السياسي والمذهبي الذي عليه المسلمون لا يؤدي إلا إلى الضعف والهوان، وفتح المجال لاستعباد المسلمين واحتلال بلدانه. ولقد أطنب الفقيه لوقش في الدعوة إلى وحدة المسلمين مؤكدا أن انشغالهم بخلافتهم الداخلية مكّن أعداءهم من التخطيط لإفنائهم واستئصالهم، حاثا إياهم للوقوف «صفا واحدا وكتلة واحدة تتحرك بكلمة واحدة وقلب واحد» فيهبوا في جهاد عام، يفرض فيه على كل مسلم «شيبا وشبابا» حمل السلاح، لصد غزو الكفار.

وقد صوّر الفقيه لوقش هذا التشتت السياسي والمذهبي الذي كان عليه المسلمون في مواضع شتّى من تفسيره. ففي مقدمته للفاتحة يقول: «الخلافة عن النبوة المحمدية... لا تتعدد، وإنما كان يتعدد مُلك بني إسرائيل الذين تعددت أنبياؤهم... ثم لما صارت الأمة المحمدية القرآنية السُّنية بعد ذلك مذاهب واشتغل أتباع كل مذهب بالتعصب لمذهبهم وإن كان سيئا، عن الاقتصار على القرآن، وعلى التزام خليفة واحد... تشتتت قلوبهم بعد ائتلافها، وتفرقت كلمتهم بعد جمعها ودبّ إليهم داء الأمم من قبلهم: الحسد والبغضاء، وافترق أهل المغرب من أهل المشرق، وأهل الأقاليم والأقطار بعضها عن بعض، وصيَّروا الخلافة الربانية المحمدية القرآنية، ملوكا وعصبيات ورياسات، لحُب الدنيا عن الآخرة... وتنازعوا

(1) المصدر نفسه، ج. 15، 16.
(2) المصدر نفسه، ج. 5، 118.

وفشلوا وذهبت ريحهم، وضعفت قوة قلوبهم ويقينهم، وتركوا الجهاد، فسلّط عليهم الله ذلًا لا يرفعه عنهم، حتى يراجعوا دينهم، وتناصر عليهم الأعداء ووجدوا إليهم سبيلا، وصاروا يقتطعونهم قِطعا كالأغنام والعبيد والأسارى، ويحتلون أراضيهم بمشارق الأرض ومغاربها، ويُهلكون بعضهم ببعض، واتخذهم كل من يعبد الدنيا من دون الله أولياء من دون الله.»[1]

وفي تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يقول لوقش: «وهذه الآية العظيمة تجرّ ذيلها على جميع طوائف الإسلام الذين تفرقت كلمتُهم، وتشتتت قلوبُهم ومحبتهم بمشارق الأرض ومغاربها، عن خليفة الرسول والدين الواحد، وعن العمل بخصوص القرآن والسنة. وهؤلاء أهلُ هذا الإقليم استبد بهم ملِك أو شريف أو عالم أو شيخُ طريقة، فصاروا يطيعونه فيما يأمر وينهى، ويهجرون جميعا القرآن والسنة، وهؤلاء في كل إقليم من مشارق الأرض ومغاربها كذلك. وهذا حنفي يعترض على شافعي، وهذا شافعي يعترض على مالكي، وهذا مالكي يعترض على حنبلي والعكس. وهؤلاء أهلُ دليل وبرهان يعترضون على أهل الشهود والعِيان، وهذا سني يعترض على معتزلي بجميع طوائفه، والعكس، حتى تنازعوا وفشلوا وذهبت ريحُ وحدة الإسلام ووطنيته، ووحدةُ خلافةِ نبوته وقرآنه، التي لا تقبل التعدد، فوجد الأعداءُ بسبب ذلك سبيلا إلى احتلال مشارق الأرض ومغاربها، واستعباد أهلها وإذاقتهم الذل وأنواعَ العذاب، والضرب على أيديهم وقبض الخراج والجزية منهم، كأهل الذمة، وامتهانهم في الأمور الشاقة، وخدمة البهائم والأزبال، كما فعل فرعون ببني إسرائيل.»[2]

وفي خاتمة تفسيره لسورة البقرة يدعو الفقيه لوقش الله أن يجمع كلمة أهل الإسلام وقلوبهم شرقا ومغربا «على خليفة واحد، محمدي رباني، حتى تكون الأمة كلها معه، كما كان الصحابة، رضي الله عنهم، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أبى وخرج عنه يُعدّ باغية، فيُقاتَل حتى يرجع إلى خليفة المسلمين وجماعتهم الكلية. ولا دواء للإسلام في كل وقت، وخصوصا في وقتنا هذا، غيرُ هذا، والعضّ عليه بالنواجد.»[3]

وهكذا لا يرى الفقيه لوقش دواء يرجى للأمة إلا بـ «مراجعة الدين، ومداومة الجهاد، والجمعُ على خليفة واحد بمشارق الأرض ومغاربها، كما كان الصحابة مع رسول الله صلى الله

(1) المصدر نفسه، ج. 1، 39 وج. 4، 273.

(2) المصدر نفسه، ج. 2، 113، وج. 1، 39، وج. 10،233.

(3) المصدر نفسه، ج. 1، 254. ويكرّر نفس الدعاء بنفسٍ طويل في تفسيره لسورة يوسف للسلطان العثماني «السّلطان ابن السّلاطين، ناصر راية الإسلام، وجامع كلمته... المجاهد الغازي في سبيل الله...، محمد الخامس.» لوقش، **تفسير**، ج. 5، 321-322.

عليه وسلم، لأن الرئاسة المحمدية، نبوة وخلافة من الله تبارك وتعالى، لا مُلك، كما كان ملوك بني إسرائيل.[1]

فمن هو هذا الخليفة الذي ينبغي أن تجتمع عليه كلمة المسلمين؟

إنه خليفة الدولة العثمانية «التي أحيى الله تعالى بجهادها الدين في آخر الزمان،»[2] فهي «روح حياة أهل الإسلام، لا خلاص لهم من يد العدو بدونها.»[3] يقول في تفسيره لآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: «وهذا أدلّ دليل على أن الخلافة في الأرض لا تكون إلا لخليفة واحد، وسلطان واحد، وإن قام عليه غيره في قطر إسلامي قتل، ... وكما جعل [الله تعالى] رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم آخرا في الرسالة وفي الخلافة في جميع أهل الأرض، وجعل خليفة عنه بعده أبا بكر خليفة وحده، ثم عمر وحده، ثم عثمان وحده، ثم عليا وحده، ثم سيدنا الحسن، رضي الله عنه وحده، في الستة الأشهر الأولى قبل القيام عليه؛ كذلك يجب على الأمة كلها أن تجتمع على خليفة واحد يقدر على القيام بالجهاد، وتنفيذ الأحكام إلى قيام الساعة، وليس هو إلا السلطان التركي، نصره الله آمين، فإنه اجتمع فيه ما تفرق في غيره، وكيف لا وأسلافه قاموا بالمملكة الإسلامية وتحفظوا عليها جهدتهم، وعلى الحرمين الشريفين ما ينيف على الألف سنة، كمل الله بخير، آمين.»[4]

ويؤكد هذا الأمر في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾. يقول الفقيه لوقش: «... ولما ضعُفت شوكة مُلك الخلافة في خلفاء بني العباس، تدارك الله الخلافة المحمدية في المسلمين بخلفاء السادات آل عثمان، وقاموا بالدين وأهله باحترام الحرمين الشريفين، وحازوا الخلافة والقيامَ بها وبالحرمين، وبالجهاد في كل وقت قدر طاقتهم ما يقرب من الآلف سنة، وأحيوا الدين وأهله، وبالجهاد الكافي حتى أنقذوهما من إيدي المتناصرين، ولا زالوا، أعانهم الله، ونصرهم وأعزهم، فلا ينبغي لجميع أهل الإسلام بمشارق الأرض ومغاربها، إلا أن يكونوا تبعا لهم، وكلمة واحدة وقلبا معهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبدٌ حبشي، كأن رأسه زبيبة.»[5]

---

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 2، 46، وج. 1، 38.
(2) المصدر نفسه، ج. 7،311.
(3) المصدر نفسه، ج. 15، 96.
(4) المصدر نفسه، ج. 7، 250.
(5) المصدر نفسه، ج. 2، 46.

فالفقيه لوقش يرى أن القائم بالجهاد في عصره هي الدولة التركية وحدها.[1] وأما غيرها، أمثال «شريف مكة وأتباعه، وملوك المغاربة ورؤسائهم فقد خانوا وغشوا وحاربوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن والمؤمنين ووالوا الكفار دون المؤمنين، كلٌّ بما قدر عليه في هدم عرى الدين، حسبُهم الله.»[2]

وهكذا يرى الفقيه لوقش أن الخليفة الذي ينبغي أن يجتمع المسلمون تحت كلمته هو الخليفة العثماني، بل «كلُّ مَن خرج على الخليفة العثماني في الحين أو بعد الحين ينبغي أن يُعدّ «باغية» فيُقتل.[3] بل إن صاحب التفسير يتمحّل في تفسير آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ فيقول: «فالعدل مع رسوله، صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ، أن يتبعوه في جميع ما جاء به ... ويوالوا المؤمنين دون الكافرين، ويكونوا عليهم يدا واحدة في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يجتمعوا على إمام واحد، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، وأن يقوموا بالجهاد،»[4] وكلما كانت الأمة كلها تستمد الأمر والنهي من خليفة واحد، «كما تستمد النجوم النور من الشمس،» فإن الغلبة ستكون للدين المحمدي بجميع مقاماته في مشارق الأرض ومغاربها، ومهما قام أحد على الخليفة، الخليفة الواحد، وادعى الملك وتعصبا عليه بقومه وإقليمه، فضلا عن أكثر من واحد، إلا واختلّ الأمر والنهي، وتشتت كلمة أهل الإسلام، وفشلوا وذهبت ريحهم، وظهر عليهم عدوهم، وفاجأهم بمشارق الأرض ومغاربها، واستعبدهم وسلط بعضهم على بعض، وقاتل بعضهم ببعض كما فعل المتناصرون على استئصال الإسلام وأهله، رد الله كيدهم في نحورهم.»[5]

بيد أن الولاء للدولة العثمانية «القائمة بالجهاد» لم يكن محل إجماع العلماء، فقد عارض بعضهم ذلك بدعوى كونها دولة غير شريفة ولا عربية. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾ يقول الفقيه لوقش: «والآية تجر ذيلها على أولاد الملوك من الشرفاء والعرب وأتباعهم وعلمائهم، إذ رأوا الدولة التركية، زادها الله نصرا على نصر ...، قالوا: ليست شريفة أو ليست عربية، حسَدا من عند أنفسهم، ولعباً بالدين وأهله، ونُصرة لأعداء دين الله بها، ونفاقا

(1) يقول لوقش: «نعم، الدولة التركية، زاد الله في نصرها ومدها، وعزّها وظفرها، ومتّع بها مشارق الأرض ومغاربها... هي وحدها التي لا زالت قائمة في الحرب الحاضرة وقبلها، فوق طاقتها، بالنصرة الحسيّة للإسلام، وفي حكمها أهل مصر الأحرار الأنصار، النجباء الأخيار، ومن في حكمهم.» لوقش، **تفسير**، ج. 12، 233.

(2) لوقش، **تفسير**، ج. 2، 185.

(3) المصدر نفسه، ج. 2، 47، و .114 «وإن خرج على خليفة الرسول والقرآن الواحد أميرٌ أو مدّع يريد تشتيت قلوب أهل الإسلام وتفريق جماعتهم وكلمتهم، عدّ باغية، وقاتلته الأمة كلها.» لوقش، **تفسير**، 176. وانظر نفس الفكرة في المصدر نفسه، ج. 14، 275.

(4) لوقش، **تفسير**، ج. 6، 233.

(5) المصدر نفسه، ج. 15، 96.

فيه... مع أن الدولة المذكورة قائمة بنُصرة الدين في كل وقت، ما أمكنها، تدور مع مصلحته كيفما دار، أكثر من ثمانمائة سنة.»[6]

والفقيه لوقش يومئ هنا إلى ما أفتى به عدد من علماء كبريات مدن المغرب، من أبرزهم عبد الواحد ابن المواز الفاسي، (ت 1341هـ/1923م) وعبد الحي الكتاني (ت 1382هـ/1962م) ومحمد بن عبد السلام الرندة الرباطي، (ت 1365هـ/1946م)، بإيعاز من الإقامة العامة الفرنسية، من أن خليفة المسلمين، واجب الطاعة في الجهاد وغيره، هو السلطان المغربي، المولى يوسف العلوي، لا السلطان العثماني، لافتقاره إلى النسب القرشي.[7]

ويبرز الفقيه لوقش هذا الأمر جليا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، مدافعا عن أحقية الدولة العثمانية بخلافة المسلمين، فيقول: «ومثاله في وقتنا، كيوسف الذي هو مَلِك إسلامٍ صورةً عند فرنسا في منطقة احتلالها المغربية، تغرّ به الإسلام، وتسمّيه مخزنا مغربيا، يخطُبُ به على المنابر المسلمون، وينصرونه ويطيعونه في كل ما تأمر به فرنسا... حتى إنه أرسل بعثته معها تغُرُّ أهل مكة ومن انضاف إليها من المغاربة، بفتاوي علمائه ووزرائه الضالين، بأنه هو شريف تجبُ طاعتُه... ولا يطيعون الدولة التركية لأنها غير قرشية، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الخلافة في قريش»، إلخ، وكلا وحاشا. كاذب ضالٌّ مُفْتر على الله، لا هو ولا علماؤه ولا أنصاره الحاملون راية الكفر، المقاتلون عنها، وكلُّهم من فرنسا، لا مِنّا، والله يقول: «منكم،» والذي هو منّا هو الدولة التركية، وأنصارُها شرقا ومغربا... تقاتل عن دين الله أعداءَ الله المتناصرين على استئصال الإسلام بمالِها ونفسها وأولادها ورجالها وأنصارها منذ ثمانمائة سنة وزيادة، وتحفظ الحرمين وتقومُ بهما، وما غشّت ولا خدعت قط. وأما كونها غير قرشية طينية، فلا يضرها، فهي قرشية معنى ودينا، لأن الدين معنى لا ذات. قال عليه الصلاة والسلام: «اسمعوا وأطيعوا، وإن تأمّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة،» وطاعة القرشي مشروطةٌ بقوله صلى الله عليه وسلم: «ما أقاموا الدين وأطاعوا الله ورسوله،» وإلا فلا طاعة لهم، وهؤلاء أطاعوا الكفر ورجّحوا رايته على رئاسة الذّل والخِزي والراتب الذي لا يحلّ لهم من الله. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾. ومثل يوسف ابنُ عمه المهديُّ في منطقة اصْبنية والريسوني.»[8]

وواضح أن الظروف السياسية هي التي تحكمت في فهم الفقيه لوقش لمسألة دينية كبرى وشائكة من قبيل مدى شرعية الخلافة العثمانية. فهو لم يؤصّل المسألة اعتمادا على

(6) المصدر نفسه، ج. 1، 205.

(7) المصدر نفسه، ج. 1، تقديم جعفر ابن الحاج السلمي، 20.

(8) المصدر نفسه، ج. 4، 82.

النصوص الدينية المؤسِّسة، وإنما انطلاقا من اعتبارات سياسية ظرفية كان يمرّ منها المغرب والعالم الإسلامي في مواجهته للحروب الاستعمارية.

وقد عارض الفقيه لوقش بقوة كل من «يبدِّع دولة الخلافة المحمدية التركية، ويعترض على جهادها مع الكفار المتناصرين على استئصال الإسلام وأهله،»[1] محذرا من الدعاية المعادية للدولة التركية التي كانت تشنها دول الحلفاء عليها، و«من كان يطالع «جوازط» [أي جرائد] سياسة إسبانيا وفرنسا وإنگلترا في الحرب الحاضرة بالكذب الصراح على الدولة التركية وحلفائها، وعلى سائر المماليك الإسلامية؛ ليوهنوا إيمان المغاربة وعزائمهم ورجائهم، ويميلوا إليهم بالعبودية والذلّ والهوان، كما فعل المستخدمون معهم من المغاربة والذين تولّوهم دون المؤمنين ومن غيرهم.»[2]

ويصبّ الفقيه لوقش جام غضبه على باقي الرؤساء والزّعماء وشيوخ الزوايا، معتبرا إياهم مجرّد متواطئين ومتعاونين مع المحتلين على هدْم الدين واضمحلاله، وباعة أوطانهم للأعداء. ولا يتوانى عن وصفهم بـ «ملوك الاستبداد وشيوخ الاستبداد وأشراف الاستبداد وعلماء السوء.»[3] وقد أطنب لوقش في الحديث عن أساليبهم في ثنْي مواطنيهم عن التصدي للمحتلين ومقاومتهم بكل السبل، سواء ببلاد المشرق أو ببلاد المغرب.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ يقول: «حال أعراب الحجاز، وشرفائه ورؤسائه وعلمائه، وحال أعراب الشام ونواحيها، وحال أعراب المغرب، وبعض بَرابره وبعض قبائله الريفية والجبلية، وأرباب المخزن الذي كان فيه، وبعض رؤسائه وعلمائه، وشيوخ بعض الطرق الذين باعوا الدين بالجِرايات الجارية عليهم من الكفار المتحزبين المتناصرين على استئصال الإسلام، وبالنياشين الصلبة المعلقة على صدورهم، والمخْفية في صناديقهم، وأعانوا الكفار المذكورين على احتلال الحرميْن الشريفين بواسطتهم، وعلى احتلال أراضي الإسلام وبلاده وقبائله بمشارق الأرض ومغاربها، وقاتلوا الدولة التركية القائمة بنصرة دين الله في هذه الحرب الحاضرة جنبا لجنب مع الكفار، وأطلقوا فيها ألسنتهم، والقول في الطّعن فيهم وبكرسي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، وإرضاء للكفار وموالاة لهم دون المؤمنين، وغزوا قبائل ومدُنا، وأطلعوا الكفار على عورات المسلمين، فقتلوا وسجنوا، وذلوا، وقهروا، وحرقوا، وهتكوا أعراضا وأموالا،

---

(1) في تفسيره لآية: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. لوقش، **تفسير**، ج. 3، 234، وج. 2، 208.

(2) لوقش، **تفسير**، ج. 12، 13.

(3) المصدر نفسه، ج. 2، 133.

وفتنوا المؤمنين والمؤمنات... فأول ما يجب على أهل الإسلام مهما جمع الله كلمتهم، شرقا وغربا على الدولة التركية، نصرها الله، إن شاء الله بحوله وقوته، ومتعنا بذلك، هو قتالهم وقتْلهم حتى يتوبوا ويرجعوا للسنة والجماعة، وهنيئا لمن قتلهم أو قتلوه، ... وإنما بقي بالمغرب بعض قبائل جبلية، وريفية، وبربرية، يقاتلون على لا إلاه إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وجميع أنواره، حفظهم الله وأعانهم ونصرهم كيفما كانوا.»[1]

ويسمي صاحب التفسير عددا من المتواطئين مع المحتلين بالمغرب، في تفسيره لآية: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيقول: «يوالونهم ويحبونهم ويودّونهم ويركنون إليهم، ويُطلعونهم على عورات المسلمين أو يعينونهم عليهم بشيء... [ويصيرون لهم] جواسيس وعُيونا يقاتلون بهم جميع المسلمين ويحاربونهم أو يقبضون لهم ضرائب وخراجا من المسلمين،»[2] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: من موالاتهم... ومن الركون إليهم ويعينهم على المسلمين وعلى هدم مملكة خلافة الإسلام، كما فعل شريف مكة وأتباعُه وأضرابه بالمشرق، وكما فعل الرّيسوني والزّلّال وكافة أتباعه ووزراءُ الإصبنيول وقوادُه وعماله وكتابه وعساكره وأعوانه من المسلمين بتطوان والجبل، وكما فعل له الشيخ ابن الصدّيق وأتباعُه المطّلعون على سريرته معه ومع الإنجليز بطنجة، حتى أدخل في طاعتهما قبائل إسلامية وأفرادا كثيرين، وكاد يدخل مدينة طنجة لولا لطف الله، وكما فعل كبيرُ رؤساء طائفة التجينيين، والشريف كبير طائفة الكتانيين بعد قتل أخيه على الحق، وكما فعل الگلاوي والمتوگي، وكثيرٌ من عُمال الحوز، وغيرُهم مع الفرنسيس. إلخ.»[3]

وقد خصّ الفقيهُ لوقش الزعيمَ أحمدَ الريسوني بانتقاد حادٍّ لدوره في فتنة قبائل شمال المغرب وإخضاعها للمحتل الإسباني، وتثبيطه لهِمم المجاهدين، وانخراطه في المشروع الاستعماري للدول الأوروبية بالمغرب، «كجميع لصوص المغاربة في كل قطر، الذين اتخذوا قتل المؤمنين حرفةً لأخْذ أموالهم أو نسائهم أو ذراريهم، أو ليترأسوا عليهم وعلى قبائلهم قهرا، ويضطروهم إلى ما أرادوا من التصرف فيهم، وخصوصا من كان مثل هذا الرجل الريسوني، الذي ابتدأ في القتل بذبح المارين من الحُجّاج بأرضه، لسلب بضائع ومال نفقة حجِّهم، ثم

(1) المصدر نفسه، ج. 10، 137.

(2) المصدر نفسه، ج. 2، 51.

(3) المصدر نفسه، ج. 2، 53 و115. وفي تفسيره لآية ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول لوقش: «وتجر الآية ذيلها كليا على شريف مكة بالمشرق وأضرابه وعلى الريسوني بالمغرب، وأضرابه الذين تولّوا الكفار من دون المؤمنين الذين يغرون ويخدعون، ويغشون ويقاتلون قبائل الإسلام ويخرجونهم من وحدة كلمة الإسلام ويدخلونهم تحت طاعة الكفار كرها وطوعا، ويملّكونهم رقابهم وأولادهم وديارهم ووطنهم، وأموالهم، محاربة لله ولرسوله. لوقش، **تفسير**، ج. 3، 150.

بالهجوم على مداشر أهل الكسب والحرث، لقتلهم وسلب أموالهم، حتى خلت مداشير كثيرة، وهُدمت جوامعُها التي كان يذكَر فيها اسم الله وكلام الله كثيرا، إلى الآن. ولا زالت فتنتُه شائعة في قبائل الجبال كالنار في الحطب. ثم إنه هو كان السبب، على يد الإنجليز أو غيره، في فتنة وقيام أبي حمارة، الذي كان السبب في مؤتمر الجزيرة الذي رُكّب عليه خراب الإسلام، شرقا ومغربا، ثم كان ثانيا هو السبب في قهر وإخضاع القبائل الجبلية لصبنية الخبيثة، ولا زال على فعله السيء، ومحاربته لله ولرسوله والمؤمنين والدين، بما لا مزيد عليه، مع تلبُّسه ونفاقه وقلبه الأعيان بصرامة لسانه، من غير حياء ولا حِشمة.[1]

كما خصَّ «العالمَ الشَّرِيف، شيخ درقاوة بطنجة» والشيخَ الحرّاق بتطوان بنقدٍ شديد، لدورهما في استمالة القبائل للدخول تحت طاعة المحتلين، فشيخ درقاوة بطنجة «أدخل القبيلة الأنجرية والسعيدية وبعض قبائل غمارة، ولا زال يستميل قبائل الإسلام، ويهون عليهم الدخول تحت حكم الإصبانيول، أو احتلاله إياهم وقبائلهم، ومثله المدعي المشيخة، الحرّاق بتطوان. وكلما دخل قبيلة تحت الإصبانيول هتكَ كبراؤه وبعض عساكره حريمها، واستعبدوهم وأهانوهم وحجروا عليهم كل شيء.»[2]

ويقارن لوقش في تفسيره لآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ بين سلاطين الدولة العلوية الذين فرّطوا في الجهاد، وسلاطين الدولة العثمانية الملتزمين به، فيقول: «وانظر إلى الدولة المغربية البدويّة المستبدّة حيث فرّطوا في الجهاد والدين، وفي اتّباع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّكلوا على تزكية أنفسهم وعِلمهم وشرفهم بلا عمل ولا تقوى كيف ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وخرّب مُلكهم وملَّك ديارَهم وكرسيَّ مُلكهم للأعداء؛ و[انظر] إلى الدولة التركية حيث خافوا الله، وقاموا بدينه وجهاد أعدائه ما استطاعوا، مع ما كانوا فيه من شدة الضغط والمراقبة، ولم يزكّوا أنفسهم، كيف أحياهم الله وزكّاهم ونصرهم وأعزّهم، وأحيى بهم الإسلام شرقا ومغربا، كمّل الله عليهم وعلى جميع الإسلام بخير، وجعل العاقبة لهم ولنا معهم.»[3]

---

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 3، 83.

(2) لوقش، **تفسير**، ج. 12، 23.

(3) المصدر نفسه، ج. 3، 51. وكذلك في تفسيره لآية: ﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ يقول: «وهي تجر ذيلها جرا حقيقيا على الذين اتخذوه من المسلمين بموالاتهم الكفار دون المؤمنين وإيثارهم إياهم عليهم، وحبهم فيهم، وسيرتهم بسيرتهم، وتخلقهم بأخلاقهم، واستهانتهم بالدين وأهله، وبيعهم المملكة المغربية للكفار، كل واحد منهم على قدر طاقته وتلبيسه وجبلّيته وغشه للدين وأهله، كأنهم عياذا بالله أيسوا من روح الله، في إحياء دينه وأهله، وأمنوا مكر الله بالكافر، المتمردين وبهم.» لوقش، **تفسير**، ج. 3، 102. وانظر كذلك: تفسيره لآية: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾. لوقش، **تفسير**، ج. 3، 47 و111؛ وج.1، 64.

بل يذهب إلى حد اعتبار طاعة أولي الأمر الذين يوالون الكفار باطلة. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يقول: أي لا مِن غير المؤمنين. فكل أمير أو ولي صغير أو كبير، تحت راية خلافة الإسلام، ويأمر بطاعة الله ورسوله، تجب طاعته، وكل أمير أو ولي صغير أو كبير تحت راية الكفر، وعند أمرهم ونهيهم في أرض مأخوذة مثل يوسف وأضرابه في منطقة الفرنسيس بالمغرب، ومثل المهدي والريسوني في منطقة الإصبنيول بالمغرب، أيضا لا تجب طاعتهم شرعا، بل قهرا أو غلبة فقط.[1]

• انتقاد لوقش لخفوت همة المسلمين للجهاد

على الرغم من الهجمة الشرسة التي تعرض لها المسلمون من قبل الدول الأوروبية التي احتلت بلادهم واستعبدت شعوبهم، فإن ذلك لم يوقظ روح الجهاد فيهم بما فيه الكفاية، وذلك لعدة أسباب، يضع الفقيه لوقش على رأسها تخليهم عن فريضة الجهاد، وافتراق كلمتهم، وقد أسهب على طول صفحات التحذير من ذلك، كما سبق القول. ففي تفسي قوله تعالى ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: يقول لوقش «وانظُر، يا عاقل، حَيثُ نامَ المسلمون عن القيام بأمر اللهِ هذا، كما أمَر بالفعل، كيف انبسَط الكُفرُ وشوكتُه بمشارق الأرض ومغاربِها، وانعكَس الأمر، وضيَّقوا على المسلمين الخِناقَ واستعبَدوهم، وقبَضوا مِنهُم الضَّرائب، وطمِعوا في دولة الخلافة والحَرَمَيْن، لولا لطفُ اللهِ بالحرب الحاضرة، فلا فَكاكَ لنا مِنهُم إلاّ بالرُّجوع لأمر اللهِ هذا.»[2]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول الفقيه لوقش: «أي لا يَقدَحُ تَثاقُلكم في نُصرة دينِه شيئا، فَإنَّهُ الغَنِيّ المُطلَقُ عن كلِّ شيء وفي كلِّ أمْر، وإنَّما تَضُرّون أنفسَكم بتَركِ الجِهادِ وطاعةِ الله... وهذا سُخطٌ عظيمٌ على المُتثاقِلين، حَيثُ أَوعَدهم بعذابٍ أليمٍ مُطلَق، يتناولُ عَذابَ الدّارَيْن، وأنَّه يُهلِكُهم ويَستَبدِلُ بهم قَومًا آخَرين خيرًا مِنهُم وأطوَع...» ويزيد توضيحا بقوله: «وهذا الوعيدُ هو الَّذي لَحِقَ جميعَ الأُمَّة بعَينِه، حَيثُ تَثاقلت أقطارُ الإسلامِ بعضُها عن بَعض، وقبائلُه بَعضُها عن بَعض، حَتّى صاروا كَأَنَّهُم أُمَمٌ مُفَرَّقَة؛ كلُّ واحدةٍ على دين، مَهما قصَد العَدُوُّ قُطرا أو طائفةً من الإسلام، غفَل وتثاقَل عنه الباقي. فإذا أخذَه، سكتوا

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 3، 56.

(2) لوقش، **تفسيرنصرة الإسلام**، ج. 5، تخريج محمد رضى بودشار (تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، 2018)،6.

عنه، وزالت قوَّتُه من الإسلام. ثُمَّ كذلِكَ في قُطر آخر، أو قبيلةٍ أُخرى، حَتّى كادَ يَضمَحِلُّ الإسلام، لولا لُطفُ اللهِ بالحرب الحاضِرة.»[1]

أما آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ فإنها «تجر ذيلها بالنّفاق على كل من يبطئ المسلمين عن الجهاد في هذه الأزمان، ويقول: هذا ليس بزمان جهاد، وخصوصا على الذين تولّوا الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين، وانضافوا للكفار بالمُعاونة، جِهارا أو سرّا، على هدْم الإسلام.»[2]

وفي تفسيره لآية ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يقول الفقيه لوقش: «فانظُر، يا مَن فَتَحَ اللهُ بَصيرَتَه، إلى فِعلِ آبائِنا في الدّين، وصِدقِهم مع اللهِ ورَسولِه صلى الله عليه وسلم ودينِه، مع أنَّهم لم يَفجَأهُم عَدُوّ، بل لفَتحِ البِلاد، وانتِشارِ دينِ اللهِ في مُلكِ الله، وإلى حالِ أَهلِ أَزمانِنا وقَبلَها بكَثير. فَجَأَهُمُ العَدُوّ مِن كُلِّ جِهَة. ومع ذاك، شُبّانُهُم وأَغنِياؤُهم، وأَقوِياؤُهم وعُلَماؤُهُم، يَدَّعونَ العُذرَ في تَركِ الجِهاد، وَيَتَثاقَلونَ عَنه، وَيُثَبِّطُ بَعضُهُم بَعضاً على كُلِّ حال، فَضلاً عن ضُعَفائِهم وشُيوخِهم، وأَهلِ الأَعذارِ مِنهُم... فما أَضعَفَ إيمانَهُم، وما أَغَشَّهُم لدينِ اللهِ ولِأنفُسِهم، وما أَعصاهُم وأَسخَطَهم للهِ ولرَسولِه صلى الله عليه وسلم وما أَرضاهُم بحُكمِ الكُفرِ عَلَيهِم، وأَحَبَّهُم في مُوالاةِ أَهلِه، وما أَنقَضَهم للبَيعَةِ الَّتي بايَعَ بها الصَّحابَة، رَضِيَ اللهُ عَنهُم، رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم، على المَوتِ في الجِهاد، وعَدَمِ الفِرارِ عنه، بِحَسَبِ النِّيابَةِ عن أَنفُسِهم.»[3]

وفي تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَلَن تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: يقول لقوش:» مِن الضَّرَر؛ أي لا يَقدَحُ تَثاقُلكم في نُصرة دينِه شيئا، فَإِنَّهُ الغَنِيّ المُطلَقُ عن كلِّ شيء وفي كلِّ أمْر، وإنَّما تَضُرّون أنفسَكم بتَركِ الجِهادِ وطاعةِ الله... وهذا سُخطٌ عظيمٌ على المُتثاقِلين، حَيثُ أَوعَدهم بعذابٍ أليمٍ مُطلَق، يتناولُ عَذابَ الدّارَيْن، وأنَّه يُهلِكُهم ويَستَبدِلُ بهم قَومًا آخَرين خيرًا مِنهُم وأطوَع، وأنَّه غَنِيٌّ عَنهُم في نُصرَة دينِه ورسولِه وأمرِه كلِّه؛ لا يَقدَحُ تَثاقُلهم فيها شيئا.» ويضيف لوقش مؤكدا: «وهذا الوعيدُ هو الَّذي لَحِقَ جميعَ الأُمَّة بعَينِه، حَيثُ تَثاقلت أقطارُ الإسلامِ بعضُها عن بَعض، وقبائلُه بَعضُها عن بَعض، حَتّى صاروا كَأَنَّهُم أُمَمٌ مُفَـرَّقَة؛ كلُّ واحدةٍ على دين، مَهما قصَد العَدُوُّ قُطرا أو طائفةً من الإسلام، غفَل وتثاقَل عنه الباقي. فإذا أخذَه، سكتوا عنه، وزالت قوَّتُه من الإسلام. ثُمَّ كذلِكَ في قُطر ءاخَر، أو قبيلةٍ أُخرى، حَتّى كادَ يَضمَحِلُّ الإسلام، لولا لُطفُ اللهِ بالحرب الحاضِرة.»[4]

---

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 41،5.

(2) المصدر نفسه، ج. 3، 63.

(3) المصدر نفسه، ج. 5، 47.

(4) المصدر نفسه، ج. 5، 41.

• الذين يحبطون عزائم وهمم المجاهدين، ويقولون: «ليس هذا بزمن جهاد»

لقد شن الفقيه لوقش حربا شعواء على كل من كان يحبط عزيمة المجاهدين، وبالأخص أولئك الذين «يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وينصرونهم ويخدمونهم وينصحونهم ويقولون: إن الدين المحمدي لا تقوم له قائمة مع قوة الكفار واستعدادهم.»[1] وكذا «رؤساء المسلمين اليوم الذين يغُرّون ويخدعون قبائل الذين لا زالوا لم يطيعوا الكفار ولم يخضعوا لاحتلالهم بقولهم: اتقوا الله في أولادكم وأموالكم، وأطيعوا هؤلاء الكفار المحتلين أرض المغرب ولا تقاتلوهم كما أطاعهم غيرُكم، فإنكم لا تقدرون على دوام مقابلة المخزن، ولا بد لكم من الطاعة.»[2]

وقد أسهب في تصوير ما يلاقيه المسلمون المستعمرون من اضطهاد، مُعدِّدا تجاوزات الأعداء في حق المسلمين ومقدساتهم، وهتك حرمات دينهم. ففي تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: يقول الفقيه لوقش: وهذه [الآية] تجرّ ذيلها على بعض علماء السوء وجُهّالهم من المسلمين الذين استعظموا قوة الكفار وصولتهم وآلاتهم وعُددهم وسلاحهم، فوَالَوْهُم، واستضعفوا المؤمنين كلهم، وحقروهم، وقالوا: ليس هذا بزمن جهاد، وسوّلت لهم نفسهم الخبيثة مما يترتب على ذلك، ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فخسروا دينهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، واحتُلّت أرض الإسلام بسببهم وبسبب سياستهم فخسروا دينهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ووقعوا في وعيد قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الجهاد حُلوا ما نزل القَطر من السماء، وسيأتي أقوام في آخر الزمان يقولون: ليس هذا بزمن جهاد. قال الصحابة، رضي الله عنهم: وأحدٌ يقول هذا، يا رسول الله؟ قال: نعم. من سخِط اللهُ وغضِب عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما.»[3]

وفي مكان آخر يفضح ويندّد بـ «الذين يخدعون ضعفاء العقول من المسلمين، ويبيعونهم وأولادهم وأراضهم، قبيلةً بعد قبيلةٍ، ومدينةَ بعد مدينةٍ، للكفّار المحتلِّين بمشارق الأرض ومغاربها، ويتولَّونهم دون المؤمنين، ويتجنَّدون في مراتب جيوشهم السِّريَّة والعلنية، ويحاربون معهم الإسلام بالأقلام والألسنة والقرطاس، في مقابل المترتبات، وتعليق النياشين الصَّليبية على صدورهم.»[4]

---

(1) المصدر نفسه، ج. 3، 114.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ج. 2، 274.

(4) المصدر نفسه، ج. 15، 57؛ وج. 3، 51، وكذلك تفسيره لآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. لوقش، **تفسير**، ج. 3، 199 و206؛ وج. 4، 125.

ولا يرى الفقيه لوقش إلا الجهاد خيارا واحدا ووحيدا لتحرير البلاد والعباد؛ ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وهم أهل مكة، أي: وأضرابهم كالمحتلين الآن بأرض الإسلام، بمشارق الأرض ومغاربها؛ ﴿وَأَخْرَجُوكُم﴾ يا معشر المؤمنين، ﴿مِّن دِيَارِكُمْ﴾: من مكة وكذلك الإصبنيول الذي أخرجنا الآن من ديارنا بتطوان المغربية، وغيرنا من غيرها، والفرنسيس الذي أخرج أهل المنطقة التي احتلها منها، أو أذل وقتل وبغى بها كالإصبنيول، وهكذا غيرهما الذين احتل بلاد الإسلام ﴿وَظَاهَرُوا﴾: عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ من مكة، ويدخل فيه جميع أجناس الكفار الذين اجتمعوا بالخُزيرات على تقسيم ممالك الإسلام، واستعباد أهله واستئصالهم. ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾: أن تصلوهم وتوادوهم، أي: إنما ينهاكم عن موالاة هَؤُلاءِ الذين ناصبوا بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاندوا على إخراجكم، وعاندوا على إخراجكم. وأي عناد أعظم من عناد الإصبنيول والفرنسيس اللذين منذ احتلا المغرب يقتلان ويقتلان قتيلة بعد قتيلة، هذه بهذه، ويضحكان من هذه وهذه، ويفعلون بهم وبأولادهم وأموالهم ما شاؤوا، ويستعملانهم في حروبهم بأراضيهم، فالله عزّ وجل، ينهاكم أجمعين عن موالاتهم، ويأمركم بمعاداتهم وقِتالهم وإخراجهم من دياركم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ في العوْن والنصرة والاطلاع على عورات الإسلام وأهله، كما فعل المستخدمون معهم الآن من مشارق الأرض ومغاربها، وحاربوا الله ورسوله والقرآن بذلك، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: الضارون لأنفسهم ولإخوانهم المؤمنين المخلصين.»[1]

• الذين يقاتلون في صفوف الكفار ويوالونهم

لم يدخر صاحب التفسير جهدا في التنديد بالمجندين في صفوف النصارى، وصوّر ممارساتهم في كثير من المواضع من تفسيره. وصبّ جام غضبه على كل متعاون مع المستعمرين، وعلى من والاهُم وساعدهم وحارب في صفوفهم، وأطلعهم على عورات المسلمين سواء «بالقرطاس والأقلام» أو «بالتدبير والجاسوسية» أو بغيرها من الممارسات،[2] وخاصة أولئك الذين تم تجنيدهم للقتال في صفوف النصارى، «حتى صار الواحد منهم يقاتل حتى أباه وأخاه وأمّه وأهله في نصرة الكفار، عياذا بالله،»[3] وحذرهم من مغبّة أفعالهم.

(1) لوقش، **تفسير**، ج. 13، 210.

(2) المصدر نفسه، ج. 3، 185. وفي مكان آخر يقول: «بالتدابير الموافقة للكفار... وبالأقلام وإلقاء الخطب الكفرية عليهم والترهيب منهم بالسيف والقرطاس» لوقش، **تفسير**، ج. 3، 199؛ وج. 4، 92 و122.

(3) المصدر نفسه، ج.11، 41.

وقد اعتبر لوقش كل من «قاتل إخوانه المسلمين، في صفوف الكفار بمشارق الأرض ومغاربها، فهو مرتد بإجماع، لأنه أنكر ما علم من الدين ضرورة، وفعل ما يستحق به الردة، وبدل تبديلا.[1] بله اعتبر- في مكان آخر من تفسيره- أن الذين «تولوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين من المغاربة وغيرهم وصاروا خدمة وأعوانا للكفار «قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم،»[2] ولئن كان «مقامهم لا يبلغ لمقام الكفر»[3] فإن القصاص لا بدّ لاحقهم: «فمن لا زال حيّا من مُحاربي أهل المغاربة وكان قد قتَل وأخَذ المال أو قتل فقط أو أخذ المال فقط، ولم يُقتصّ منه، سواء تاب أو لم يتب، فلا زال متبوعا بالقصاص، مهما ظهر الحق وناصروه بالمغرب إن شاء الله تعالى بحوله وقوته،»[4] وزاد محذرا بأن «من قُتل من المسلمين عسكر الإسبنيول يسودّ وجهُه ويتغير في الحين، وتصعد منه رائحة منتنة، لا يقدر أحدٌ من إخوانه من باقي عسكر الإسبنيول أن يَقرَبه بشهادتهم بذلك، وبإقرارهم أنهم من أهل النار، وبشهادة من يرى ذلك أيضا من المؤمنين الجبليين المخلصين المبغضين للكافرين وأتباعهم؛[5] في حين أن «من استشهد من قتلى المؤمنين الجبليين المخلصين في الدين، نجده كما قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، وتصعد منهم رائحة طيبة ولا يتغيرون ما داموا مطروحين، قبل دفنهم، ولو طالوا.»[6]

لقد اعتبر لوقش أنهم يقاتلون تحت «راية الخطيئة والكفر،» وبالتالي فهم مثل من يقاتل مع «الشيطان والضلال.» ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يقول: «وهذه تجر ذيلها جرا شديدا على كثير من طوائف قبائل المسلمين، حضرا وبادية، بمشارق الأرض ومغاربها، الذين صاروا عساكر للكافرين المتناصرين على استئصال أهل الدين: حملوا سلاحَهم وانتُظموا في سلك نظام حربهم، واستظلوا برايات كفرهم، وصاروا يقاتلون معهم المسلمين ويأخذون لهم أراضيهم، ويخربون ديارهم وبيوتهم، ويقتلون رجالهم، ويأسرونهم ويسجنونهم ويعذبونهم ويفقّرونهم، ويستحلون أموالهم وفروج نسائهم، من غير مبالاة بهم، ويستأصلون رايات الإسلام وشرائعه، ويبدّلونه بضرائب الكفار على رقاب إخوانهم، بين حيلة وإكراه.»[7]

(1) المصدر نفسه، ج. 10، 144-145.
(2) المصدر نفسه، ج. 2، 188.
(3) المصدر نفسه، ج. 3، 311.
(4) المصدر نفسه، ج. 3، 186.
(5) المصدر نفسه، ج. 2، 53.
(6) المصدر نفسه،ج. 2، 52.
(7) المصدر نفسه، ج. 1، 65 و149.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول الفقيه لوقش: «فما بالُك بالمُسلِمين: عُلَماء وَشُرَفاءَ وغيرَهما، الَّذينَ استحبّوا المُحتلّين بالمغرب مِن الفرنساويّين والصَّبَنيوليّين، وآثَروهم على الإسلام، وأصبَحوا ذوي مَراتِبَ عِندَهم، يُقاتِلون بأقلامِهم وألسنتِهم، وبَنادِقِهم وسُيوفِهم، ونَياشينِهم الصَّليبيَّةِ عَنهُم المُسلِمين، ويأسِرونهم ويأخُذون أموالهم، ويَحُطّونهم في السُّجون، نِساءً ورجالا، ويُضيِّقون عَلَيهِم في مَعايِشهم، ويُطلِعونهم على عَوْراتهم، ويُملِّكونهم أرضَهم ورقابَهم، شيئًا فشيئا، ويُذلّونهم ويأمُرونهم بالخُضوع والطّاعةِ والسُّجود، حُنُوًّا لهم، ويَغُرّونهم بعلمِهم وشرفِهم مع قهرِهم، ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. سلَّط اللهُ عَلَيهِم أجمعين دولةَ الخِلافَةِ التُّركيَّةِ وأنصارَها، آمين. عاجِلاً عاجلا.»[1]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: يقول الفقيه لوقش: «وهذه تجرّ ذيلها أيضا على المسلمين الموظفين مع الكفار الذين يقاتلون معهم المسلمين ويُذلّونهم ويُعِزّون الطاغوت والكفر وأهله، كشريف مكة بالمشرق مع الإنجليز، وكيوسف وجميع أتباعه الذين مع فرنسا، وكالمهدي والريسوني وأتباعهما وأضرابهما الذين مع إصبنية، دمرهم الله وقطع دابر المتبوعين والتابعين، أو تاب على التابعين. آمين.»[2]

كما أن آية: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: «تجرّ ذيلها على الرؤساء وأتباعهم الذين قلبوا مملكة الإسلام المغربية كُفرية، وصاروا يقاتلون قبائل الإسلام ويكرهونهم على طاعة مملكة الكفار، قتلا وقهرا، ونهبا لأموالهم بالضرائب الكُفرية وغيرها.. عجّل الله بالانتقام منهم، وتطهير أرض الإسلام من الجميع.»[3]

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: «فالمسلمون الذين يوالون اليهود والنصارى في وقتنا هذا دون المؤمنين، وخصوصا الذين صاروا جيشا وخدمة وأعوانا لهم على محاربة الله ورسوله والمؤمنين، هم داخلون في هذا الوعيد العظيم،»[4] ونفس الشيء يكرره في تفسيره لآية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾:

(1) المصدر نفسه، ج. 5، 18.
(2) المصدر نفسه، ج. 3، 67 و236؛ وج. 4، 71.
(3) المصدر نفسه، ج. 2 247؛ وج. 4، 187.
(4) المصدر نفسه، ج. 3، 119.

«فالآية تجر ذيلها على من يعين من المسلمين الكفار المحتلين بأرض الإسلام المغربي على إخوانهم المؤمنين، وعلى ظلمهم لهم من غير ذنب ولا جرم، بل هي صريحة.»[1]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ يقول الفقيه لوقش: «وها طاغية الكُفار الإصبنيول، لا يزالون يقاتلون المسلمين ويحتلون قراهم ومداشرهم وأسواقهم وطرقهم وسائر أراضيهم، وكلما ملكوا طائفة ردّوهم عن دينهم، فقاتلوا بهم إخوانهم المؤمنين، وجعلوهم عيونا لهم، يأتونهم بأخبار عورات الإسلام. فمن مات من هؤلاء المرتدين كافرا، بأن قُتل في صفّ الكافرين يقاتل عنهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، نسأل الله العافية.»[2]

بل يقدم لنا الفقيه لوقش معلومات عن ممارسات بعض القبائل وشيوخها حين استسلامها وخضوعها للمستعمر، فيقول مثلا في تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: «ويدخل فيما ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الذبائح التي تذبحها قبائل الجبل على باب طاغية الإصبنيول بتطوان، وذلك أن عادتهم إذا طاعت قبيلةٌ من قبائل الأجبال وجاؤوا طائعين للإصبنيول، يسوقون في يدهم ثورا من البقر، فيُعرْقِبونه بقطْع عِرق في رجله، ثم يذبحونه، فيُعطيه النصارى مذبوحا لخادمهم إدريس الحراق، الذي تشيّخ على طائفة درقاوية كذبا، فيأكله مع أولاده وأتباعه في داره كل مرة، وهو جيفة، وقد نهى الله عنه.»[3]

وقد شاع آنذاك ميل لذى فئات واسعة من المجتمع المغربي لنبذ هؤلاء المجندين مع القوى الاستعمارية، كما يستشف مما يورده الفقيه لوقش عن «ولي كبير يتردد بين طنجة وتطوان،» اسمه سيدي عمر عليلش، كان كلما غلب عليه الوَجْد ينادي: «السّيّا، بمعنى السيبة، والله أعلم، وْجُوه النار، قوم كفْرَتْ بالله، خْزاهُم الله، لا همْ ولا مالْهم ولا أولادْهم، بيّاعِينْ أولادْهُم للنصارى، اقْبلْ وادْبح. اعْطِهْ البسّيطة [عملة إسبانية] يَعْمَلَ البرِّيطة [القبّعة]، السلالة دَ الْقوّادين.»[4]

لقد عزا الفقيه عبد الوهاب لوقش سيادة الإسلام في عصوره الأولى وانتشاره «بسرعة الضوء» واتساع الفتوحات، إلى تسلح مسلميه بالجهاد، ويذكّر في مواضع كثيرة من تفسيره بالماضي

(1) المصدر نفسه، ج. 3، 144.

(2) المصدر نفسه، ج. 1، 184.

(3) المصدر نفسه، ج. 3، 145. ويكرر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: ويقول: «ويمكن أن يدخل هنا الذبائح التي تذبحها قبائل الجبل إذا جاؤوا طائعين على عتبة دار الإصبنيول تعظيما لهم بالذبح، فيأكلها ذلك الجاهل جهلا مركبا، هو وأتباعه، عياذا بالله.» لوقش، **تفسير**، ج. 3، 146.

(4) لوقش، **تفسير**، ج. 2، 190؛ وج. 10، 136.

التليد الذي كان عليه المسلمون يوم كان فيهم رجال أوقفوا «حياتهم من أجل تعزيز دينهم وصيانة شرفهم والمثابرة على قتال الأعداء، فكانت النتيجة أنهم فتحوا البلدان الواسعة في زمن قصير. ولكن تقاعس الخلف وإهمالهم للأخذ بأسباب القوة جعل الدائرة تدور عليهم، فانحطوا، وفي المقابل علا شأن الكفار، ولذلك فلا سبيل - على حد قوله- إلى تدارك الأمر إلا بلزوم الجهاد.

لكن ضد من يجب أن يكون الجهاد؟ هل الجهاد معركة يلتحم المسلمون كافة في مواجهة عامة مع الكفار عامة؟ هل تشبث الفقيه لوقش بالمفهوم التقليدي للجهاد بين «دار الكفر» و«دار الإسلام»؟ إن ما يلفت الانتباه في **تفسير نصرة الإسلام** أن الفقيه لوقش حينما يخرج من الإطار النظري لمفهوم الجهاد كما قعّد له الفقهاء المالكية بالخصوص، نجده لا ينادي بالجهاد سوى ضد أعداء الدولة العثمانية «قلعة الإسلام.» فالجهاد تبعا لذلك موجه بالأساس ضد الحلفاء ودولهم: روسيا وفرنسا وإنجلترا.

لقد كالَ صاحب **تفسير نصرة الإسلام** المديحَ لألمانيا في أماكن عدّة من كتابه، واعتبر أن نُصرة الدولة التركية هي نصرة لها كذلك، لأنها الدولة الأوروبية الوحيدة في نظره التي تقدّر المسلمين وتعطف عليهم. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ يقول لوقش: «وألمانيا في وقتنا هذا هم الذين لمْ يقاتلونا في ديننا، ولمْ يخرجونا من ديارنا، بلْ تحالفوا وتوازروا مع الدولة، دولة الخلافة الإسلامية التركية، نصرها الله، آميـن.»[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾: يقول: «فبعد أن وصف سبحانه ﴿ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ بشدة الشكيمة في البغض والحسد والعداوة للمؤمنين، وصف الآن ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾، بلين العريكة وسهولة قبول الحق... وقد أظهر الله تبارك وتعالى في وقتنا هذا وقبله بأزمان، وفي الحرب الهائلة هذا الوصف في دولة الألمان، وملِكهم غليومَ الثاني. وشاهِدُهُ انفرادُهم عن الدول المتناصرة على قسْم الإسلام، ومودّتُهم مع دولة الخلافة، ونصحُهم وإعانتُهم في تحصين الدردنيل [أي الدردنيل]، وانحياشُهم في الحرب الهائلة واتحادُهم مع دولة الخلافة الإسلامية، حيث كانت مصالحُهما واحدة، وقتالُهم معها إخوانَهم، واطلاعُها على أنهم أرادوا استئصال الإسلام، وأخْذَ مشارق الأرض ومغاربها.»

(1) المصدر نفسه، ج. 13، 210.

ويضيف لوقش موضحا دور ألمانيا في الدفاع عن المغرب وسعيها لتجنيبه مغبة الاحتلال الفرنسي: «وأيضا لما كان الألمان بطنجة والمغرب قبل الحرب، كانوا يرحمون ضعفاء المغاربة المظلومين، ويقفون في وجوه الدول من أجلهم. وقد نصحوا الأميرَ عبد العزيز قبل وقعة الدار البيضاء، وقدِم الإمبرطورُ غليومُ لطنجة، ليلقاه ويوقِظه، ويحميه مما أراد الفرنسيس أن يفعله به وبالمغرب، فمنعه الوزراءُ الغشاشون الظالمون من ملاقاته، وأرسلوا له شريفا جاهلا من أجلاف الناس، لا يصلح لمُلاقاة الملوك، فضلا عن غليوم. ثم نصحه، بعد أن ضرب الفرنسيسُ الدار البيضاء بأنه خرج عن شروط المؤتمر، فلم يقبل عبد العزيز لأنه مفعولٌ به من وزرائه، الذين كانوا غالبين عليه من جهة الفرنسيس والإنجليز...فلا أشفق ولا أودّ من الأليمان في النصارى كلهم، وقت اختبار الإسلام، بجميع أعدائه المتناصرين على استئصاله. فقد دافعوا عن أنفسهم وعن الإسلام، قبل الحرب، وفيها كما دافع الإسلام عن نفسه وعنهُم، حيث اتّحد السبب والعّلة ما لا مزيد عليه.[1] وعليه فإن معظمهم [النصارى] الآن في أشد عداوة المسلمين كاليهود، ولأنهم مشركون، كأهل مكة في وقتهم، كما هو واضح كالشمس، من أفعال المتناصرين على استئصال الإسلام وأهله، ومن أفعال الإصبنيول ودول البلقان وغيرهم. فلا أوَدّ ولا أرحم في النصارى على المسلمين في أزماننا هذه من الأليمان، فيما هو مشاهد للعيان. وكون ذلك على حرفِ مصلحتهم واضطرارهم له، أو هم ممن صدقت عليهم الآية فالله أعلم وأحكم.»[2]

ولما كان الفقيه لوقش يعلم أن تحاف الدولة العثمانية مع ألمانيا سيثير انتقادات عدة جهات وخاصة من الموالين لفرنسا، فإنه وظّف قلمه لتبرير ذلك التحالف مبينا جدواه في حفظ بيضة الإسلام، فيقول بهذا الصدد: «فما فعلته دولة الخلافة المحمدية التركية رضي الله عنها، ونصرها وأعزّها وجمعَ كلمة الإسلام عليها، وجعل العاقبة له كله معها في الحرب الهائلة، حيث دفعت المتناصرين على استئصال الإسلام، لما فاجأوه عنه، بنفسها وبمَن حالفتْهم، من ألمانيا وأتباعها، حيث أصابهم ما أصابها من الخطر، فهم دافعوا بها وبأنفسهم من فاجأهم، وقصَد استئصالهم، وهي دافعتْ أيضا بنفسها وبمَن عاهدها، مَن فاجأها وقصد استئصالها واضمحلالَ حُكم الإسلام وأهله من أصله. ولهذا، والله أعلم، جمعَ الله عليها كلمة الإسلام كله، ونصرها الآن وأعزّها، وأعلى كلمتها نصرا وعِزّا وإعلاءً لم يخطر لأحد على بال.»[3]

وينتقد في مكان آخر كل من «يقول: ما كان ينبغي للدولة التركية أن تحارب الحلفاء المتناصرين على استئصال الإسلام، وتتعاون في دفعهم بالأليمان، ومَن كان معه، على أنهم فاجأوا الإسلام وغيره، شرقا ومغربا، وتعيّن الجهاد «وإن على امرأة.»

(1) المصدر نفسه، ج. 3، 237.

(2) المصدر نفسه، ج. 3، 238.

(3) المصدر نفسه، ج. 3، 207.

هؤلاء المنتقدون للتحالف التركي-الألماني «يحاولون [في نظر لوقش] بنفاقهم أن تكُفّ الدولة يدها عنهم، وتعطيهم الطريق في الدندنيل [= الدردنيل] وغيره، حتى إذا هتكوا الأليمان وقهروه رجعوا عليها وأكلوها واستأصلوا الإسلام شرقا وغربا، وأخذوا الحرميْن الشريفيْن ولعِبوا فيهما كما كانوا يُأمِّلون.» [1]

وقد وجد الفقيه لوقش تبريرا لتحالف الأتراك مع الألمان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ يقول: «ولولا دفاع الله تبارك الآن وبعد الآن، إن شاء الله الناس المفسدين في جميع أقطار الأرض وهم المتناصرون على استئصال الإسلام وأهله وكتابهم، وعلى من هو خارج عن معاهدتهم على هذا من الكفار غيرهم، وهم الإنجليز والفرنسيس، والمسكو والجابون والطليان، وجميع الأجناس أتباعهم في ذلك، بالناس المصلحين ظاهرا وباطنا، وهم دولة الخلافة الإسلامية، الدولة التركية المباركة، كلأها الله، وبالناس المصلحين ظاهرا، وهم الألمان والنمسا والبلقان، فلولا أن الله تعالى دفع المتناصرين أجمعين بهؤلاء المتحالفين أجمعين من حيث العادة والمكافأة، ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بغلبة المتناصرين وفق أمالهم الفاسدة فسادا عموميا، بمشارق الأرض ومغاربها، لأنهم تمجسوا وتبرؤوا من حول الله وقوته، وظنوا أن الملك لقوتهم وحيلهم ولعبهم بالمخلوقات لا الله، فأهلكهم الله أجمعين، قطع الله دابرهم، ودابر أتباعهم إلى البعث، آمين.»[2]

بل راح الفقيه يبحث في السيرة النبوية ليجد ما يبرر به ذلك التحالف العثماني-الألماني، فشبّه استعانة الأتراك بالألمان بهروب واستجارة الصحابة بالنجاشي في الحبشة، وبتحالف الرسول صلى الله عليه وسلم بخزاعة،[3] «وكذلك فعلت دولة الخلافة الإسلامية التركية، نصرها الله وأعزّها، في مُحالفة الألمان والنمسا والبلغار في الحرب الهائلة، لما تناصرت الدول الطاغون المتناصرون على استئصال الإسلام وأهله، والحرمين الشريفين، وقطع القرآن من الأرض... وعلى سحق حلفائها المذكورين والاستيلاء عليهم وفجأوا الإسلام شرقا ومغربا. فلولا أن دفعهم الله بدولة الخلافة وبالمتحالفين معها ما اندفعوا ولا رجعوا عن بغيهم وظلمهم، ولفسدت الأرض بهم وبطغيانهم أكثر وأكثر. كما قال الله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾.»[4]

(1) المصدر نفسه، ج. 3، 63.
(2) المصدر نفسه، ج. 1، 209.
(3) المصدر نفسه، ج. 2، 54.
(4) المصدر نفسه، ج. 2، 54.

ويؤكد الفقيه لوقش على أن: «ما فعلته الدولة العلية التركية المباركة هو عين السُّنة، ولا يمكنها غيره، وهو رحمة من الله تبارك وتعالى، بالإسلام وأهله، وتأييدٌ له شرقا ومغربا، وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر}، أو {برجال ليسو من أهله} إن صحّ الثاني كالأول.»[1]

وقد رأى الفقيه لوقش في ذاك التحالف مصلحة لكلا الطرفين، «بل نحن ما استعنّا بحلفاء الدولة على عدونا لأنفسنا فقط، بل هم أنفسهم لا يمكنهم الدفاع أيضا إلا بنا. فكما أصابتنا الضرورة أصابتهم. فالمراد منا ومنهم عندها إنما هو اتحاد القوتين والتدبيريْن في الدفاع والهجوم. ومن كان يقول من المغرورين أو المنافقين للدولة التركية: لا تدخلي في هذه الحرب الهائلة، وأبقي في الحياد، يقول لها: اصبري حتى يأكل المتناصرون حلفاءَك، فإذا أكلوهم بأجمعهم كنتِ أنتِ لقمة سائغة لهم، وبعدك سائر ممالك الإسلام التي هي دونك في القوة والتدبير، لأن الإسلام كله هو المقصود بالاضمحلال منهم.»[2]

يتضح جليا لنا بأن الفقيه عبد الوهاب لوقش كان ينظر للجهاد من منظار يستجيب للاعتبارات الاستراتيجية للدولة العثمانية التي دخلت -لاعتبارات سياسية وليست دينية- في تحالف مع قوى أوروبية غير إسلامية، فكان لا بدّ له من تطويع المفهوم التقليدي للجهاد بين «دار الكفر» و»دار الإسلام» ليستوعب التحالفات الجديدة التي اقتضتها الظروف، وهو ما يحملنا على القول بأن ذلك المفهوم «الجديد» للجهاد جاء مستجيبا أكثر لاعتبارات سياسية منه لاعتبارات «دينية،» من حيث التأصيل وفهم النصوص. وفي هذا الصدد لا يشذ الفقيه لوقش عن تخريجات باقي منظري الجامعة الإسلامية مشرقا ومغربا، ويبدو لنا مدى تأثره بكتاباتهم، وبالدعاية العثمانية-الألمانية التي نشطت بالمغرب، وبطنجة على وجه الخصوص حيث عاش آخر سنوات عمره.

(1) المصدر نفسه، ج. 2، 55.

(2) المصدر نفسه، ج. 2، 55، ويضيف لوقش قائلا: «وقد بسطت هذه القضية أيضا في آخر باب من كتاب **الفتوحات العجيبية في الدخول تحت ابن عجيبة**، شيخي رضي الله عنه وأرضاه عني.»